معاناة أسرة محمد الأسواني

حوار مطول وهام مع السيدة / عبير محمود محمد صالح الأسواني شقيقة محمد الأسواني ذكريات ومآسي وابتلاءات وآلام وتعذيب وسجون ومعتقلات ثلاثة عقود من القهر والظلم انقشعت بزوال الطاغية مبارك آمال باكتمال الثورة وإطلاق سراح جميع السجناء السياسيين وعودة الطيور المهاجرة ضمن متابعات المرصد الإعلامي الإسلامي لأحوال الأسرى والسجناء والمعتقلين والمستضعفين وأسرهم في كل مكان أجرى مدير المرصد الإعلامي الإسلامي ياسر السري حوارًا – نعتذر عن الإطالة ولكن للتوثيق لزم الأمر – مع السيدة / عبير محمود محمد صالح الأسواني شقيقة محمد الأسواني أقدم سجين سياسي في مصر والعالم عبر الهاتف وذلك قبل الإفراج عنه ولكن للانشغال لم يتم نشر الحوار الذي هو حوار ذو شجون تطرق لأمور كثيرة تطرقت فيها لحقبة عصر مبارك ثلاثة عقود من الظلم والقهر مليئة بالذكريات والابتلاءات وقد تحدثت إلينا بكثير من المرارة والأسى والألم الشديد.. وبادي ذي بدء نذكر بأنه حينما نتحدث عن الأصالة والعراقة عن الكرم والنبتة الطيبة وعن العطاء المتدفق الذي لا ينقطع.. نتحدث عن هذا المزيج «الكوكتيل» الذي اجتمع في شخصية امرأة مصرية وشخصية نبيلة صابرة محتسبة.. فهي الأم والابنة والأخت والزوجة.. سجل حافل بالمكارم والتضحيات والإيثار وإنكار الذات.. فلو تحدثنا عن الأم تلك المدرسة التي أعدت أطيب وأنبل الأعراق الإنسانية.. ولو تحدثنا عن الابنة والأخت والزوجة.. عن كل هذه المسميات والصفات والوظائف للمرأة لعلمنا السر وراء جملة «وراء كل رجل عظيم امرأة» ومعلوم أن العظمة لا تأتي مصادفة.. الذي أتى بها وأبرزها هو كم وافر من العطاء الطوعي والمتدفق من جندي مجهول أبى أن يعرفه الناس لكن الله عَزَّوَجَلَّ يعرفها تمامًا أنها من شقائق الرجال.. استوصي بهن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالخير كله لقد خلد التاريخ أسمائهن في مدار الإنسانية.. فأم موسي

عليها السلام وامرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد المرأة التي آمنت بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين كفر الناس وواسته بمالها حينما منعه الناس.. ورزق منها الخير الكثير.. إنهن العابدات القانتات ولا زال عطائهن يتدفق.. وهناك من سار على دربهن.. وقليل ما هم من يعرفون تلك المبدعة صاحبة التفاصيل والسيرة العجيبة وجريئة معًا.. صندوق الأسرار شاهدة عصر المستحيلات.. ابنة الحركة الإسلامية التي صارت مثل زينب الغزالي وأمينة قطب وعزيزة عباس زوجة المغربي.. إنها ابنة النوبة الكنزية.. لا يعلم الكثير عنها أنها تسلمت راية الجهاد عن والدتها - رحمها الله - لتحل محلها في متابعة أخبار أشقائها فأكبرهم يمضي ٣٠ عامًا في السجون والآخر أمضى ٢١ عامًا معتقلًا، آمنت منذ نعومة أظافرها بقضايا نصرة الحق والمظلومين في كل مكان.. تعرضت للسجن والتعذيب والإهانات ولم يثنيها أحد عما آمنت به إنها ابنة الأسرة الميسورة التي وقفت في الظل لتصنع العظماء، ورغم مشاغلها فهي متزوجة ولديها ثلاث أبناء.. فلم تتخل يومًا عن رسالتها السامية وهى في العقد الخامس حاليًا إنها السيدة / عبير محمود محمد صالح (عبير الأسواني) نسبة إلى أسوان.. حاصلة على دبلوم عالي في الديكور والأشغال اليدوية وهى الآن ربة منزل..

وفيما يلي نص الحوار:

س: الأخت الفاضلة هل تتفضلي وتقصي علينا باختصار قصة أخوكي محمد؟.

جـ: محمد شقيقي الأكبر إنسان بسيط ومتدين بفطرته التي فطره الله عليها.. ما أتذكره عنه أنه بارًّا بأهله متفانيًا في خدمة جيرانه، وبما أنني شقيقته الصغرى كان يبالغ في الاهتمام بي.. أذكر أنه وقت أن التحق بالجامعة كان له نقاش مع أمي -رحمها الله- علمت من الحديث أن زملاء أخي في الجامعة خليط من أفكار شتى ومختلفة متباينة وذات يوم

احضر إلى المنزل منشورًا أصدرته إحدى المجموعات في الجامعة وتلاه على والدتي الكفيفة وعلمت أن زملاء أخي في الجامعة إما ليبراليين أو ماركسيين أو من المجموعات الدينية وكنت أجد محمد يميل إلى التجمعات الإسلامية وقتها.

س: هل تقصدين الجماعة التي قتلت السادات؟

جـ: أنا معرفش.. كل اللي أنا أعرفه أن محمد وزملائه كانوا يحلمون بتطبيق الشريعة الإسلامية، وكانوا يحلمون بالتغيير إلى الإصلاح.. أما بالنسبة لقتل السادات أنا عرفت أن فيه إسلاميين من الجيش هم من قتلوا السادات بعد أن أقدم السادات على اعتقال الشيوخ منهم: الشيخ كشك والشيخ المحلاوي والشيخ حافظ سلامة وكل من عارضه في سياسته وقتها.

س: ما هو التغيير الذي كان يحلم به شقيقك محمد؟

جـ: على حد علمي أن محمد كان مواظبًا على تلاوة القرآن الكريم والصلاة جماعة في المسجد، وكان يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كان ناصحًا أمينًا لكل الناس رجالا ونساء شابات وشباب، لم اعلم يومًا انه اختلف مع احد أو أساء لأحد.. كان يقول لنا ان الصلاة والصيام والزكاة والحج هي فريضة ربانية فرض الله العمل بها علي العباد وكذلك الشريعة الإسلامية هي الدستور الرباني الذي فرض كذلك وهو النموذج الوحيد المفروض العمل به، ولقد تمت تجربة دساتير مدنية غير إسلامية في عقود عدة جرت البلاد والعباد إلى الاستبداد والدكتاتورية أما الشريعة الإسلامية وهى النموذج الرباني الذي لم يعمل به منذ سقوط الخلافة الإسلامية.

س: سيده عبير دخل محمد السجن بسبب حلمه الكبير في تطبيق الشريعة الإسلامية وأظنك تتعاطفين مع تلك الأمنية والسؤال هو كيف يكون تطبيق

الشريعة الإسلامية في دولة علمانية كمصر وبصورة أدق في دولة مدنية غير دينية ومن طبيعة المصريين أنهم لا يفرقون بين مسلم وقبطي.

جـ:أستاذي الكريم إن حلم تطبيق الشريعة الإسلامية هو حلم السواد الأعظم سواء مسلمين كانوا وكثير من النصارى، والتاريخ يشهد بذلك.. ولم ترى أية أقلية أو لم يجد النصارى بالتحديد عدلًا وتسامحًا إلا في ظل وجود الشريعة الإسلامية.. وتروي كتب التاريخ والتاريخ القبطي بالتحديد عن عصور امتلأت بالاضطهاد المسيحي المذهبي.. وخلاصة القول أن النصارى في مصر لم يتعاملوا بفطرة هدوء وتسامح إلا تحت الحكم الإسلامي.. صحيح أن وجود خطأ فردي في وقت ما هو خطأ لشخص معين لا لمنهج معصوم من الخطيئة كالشريعة الإسلامية، لكن الساحة قد امتلأت بالعلمانيين والشيوعيين والبهائيين وعبدة الشيطان والذين احتقروا الأديان كل ذلك وتلك الأفكار لا تحول دون تطبيق الشريعة الإسلامية وإن أرادوا تجميع هذه المعتقدات في مسمى دولة مدنية.. ونحن كمسلمين نسلم الأمر كله لله تعالى الذي يقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ ويقول أيضًا: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... ﴾ فالمسألة خارج نطاق الاختيار.. ونعود لمسألة النصارى أنا لم أشعر في حياتي أن النصارى أقلية.. أنا كنت مقيمة في شبرا وبها نصارى كثير معي وحولي والعلاقة بيننا ليست سيئة مطلقًا، ولا أدري لماذا تشويه تلك العلاقة والوصول بها إلى هذا الاحتقان العجيب! الأقباط طول عمرهم عايشين في سِلم وأمان مع جيرانهم المسلمين حتى في الأماكن ذات الأغلبية المسلمة مثل عين شمس وإمبابة لم يتعرض احد بسوء لهم في كل الأحياء الشعبية، ولم اعلم بوجود فتنة طائفية واحدة وعمومًا الذي كان يروج لموضوع الفتنة هذه هو الأمن والأمن وحده وهو المسئول الوحيد في أحداث احتقان طائفي وتأجيجه لإيجاد ذريعة لبقائه حاميًا لكرسي الحاكم ومستمدًا أي شرعية لوجوده.. وسمعت مؤخرًا أن الأمن

قد شارك في كثير من الأحداث ومن ثم كان ينسبها إلى الشعب وإلى الاتجاه الإسلامي خاصة واتخاذهم كفزاعة ضد كل العقلاء في بلدي.

س: هل لكِ أن تذكري لنا شيئًا عن المعاناة التي تعرضت لها وأسرتك بالتحديد؟

جـ: إن حجم المعاناة التي لقيتها إن ذكرتها تحتاج إلى مجلدات لكني سأذكر مأساة واحدة وهي يوم القبض عليَّ أنا ووالدتي معلمة الأجيال المرأة الكفيفة المسنة وكنت وقتها صغيرة، وقد اقتحمت قوات الأمن المصري بيتنا في سابقة هي الأولى من نوعها حيث كنا نسكن بمنطقة منية السيرج في أحد أحياء شبرا، حيث اقتحمت قوات الأمن بيتنا بعد أن تمكن شقيقي من الإفلات منهم فكانوا أن دمروا كل شيء في البيت.. واقتادونا إلى قسم الساحل ولم يسمح لنا بتغطية شعورنا وسرنا في الطريق بهذه الهيئة!! وتخيل معي حجم المأساة التي حدثت لي ولأمي طوال الطريق إلى قسم الساحل بشبرا!! ورأينا في قسم الساحل الأهوال حيث كان يتعمد ضابط القسم ومخبريه إلى مجاملة زملائهم في جهاز أمن الدولة وإظهار مدى ولاءهم لزملائهم.. فأذاقونا الويل أصناف، والعذاب مختلف الألوان، وكلمة ويل تعتبر بسيطة إلى جانب ما حدث لنا من ضرب وإهانات وتعليق بالقسم.. حتى حضرت سيارة أمن الدولة فتم اقتيادي أنا وأمي في موكب صار إلى مبنى الإدارة العامة لمباحث أمن الدولة بلاظوغلي وقتها.. حيث استقبلنا الجهاز بمخبريه وضباطه استقبالًا حارًا بعد الاحتفال بنا أنا وأمي التي كانوا يتعمدون عصب عينيها وهي الضريرة!! حيث ثم عرضنا على العديد من الضباط لأم أمر أحدهم بتجريدي من ثيابي وتهديدي بالاغتصاب وكنت وقتها طفلة صغيرة.. أما أمي المسنة فقد كسر ضابط كبير الرتبة أنفها بعد أن قام بلكمها بالضربات المتتالية وكأنه في ساحة ملاكمة.. ومن التعذيب بالكهرباء إلى ضرب على الأقدام وتعليق وتجريد من الثياب وضرب بسلك

الكهرباء المبروم.. ثم قاموا بفبركة قصة خيالية يعجز أكبر مؤلفي أفلام المغامرات على تأليف مثلها.. ثم تلقينها لي أنا وأمي حتى نذهب أمام النيابة لنذكرها في أقوالنا وما أملته علينا مباحث أمن الدولة.. وفي جهاز أمن الدولة رأيت العديد من زملاء وأصدقاء محمد.. ورأيت أيضًا العديد من زوجات وأخوات وأمهات الأخوة وكانوا بملابس المنزل حفاة مثلي وفي حالة يرثى لها.. فهذه ظهرت عليها آثار الكهرباء، وتلك لا تقوى على تحريك ذراعيها من التعليق!! أما هذه الحسناء فأحضرت لها مفرشًا كان على أحد المكاتب لتداري جسدها وشعرها بعد أن مزقوا ثيابها كلها. كنت أسمع سيدة اسمها أم صابر وهي تناشد ابنها حتى يعترف ليرحمها من العذاب هي وابنتها وزوجها المسن.. وأخرى خرجت عن شعورها وفقدت عقلها.. تمزق شعرها وثيابها وهي لا تدري ما تفعل بعد أن أصيبت بلوثة عقلية، وذهب عقلها من جراء ما حدث لها!! علمت بعد ذلك أنه تم إيداعها إحدى المصحات النفسية بعد أن تركت أبناءها في رعاية أمها بعد سجن زوجها..

ومن طرائف المواقف التي حدثت معي أن أحضر المحقق صورة لرجل حليق اللحية وقالوا لي إنه صديق أخوكي بعد أن حلق لحيته.. هاني شاكر صديق محمد الأسواني في البداية تخوفت من عرض الصورة عليَّ، لكن المحقق كشف عيني لأرى صورة المغني هاني شاكر!! وخشيت أقول وقتها إني لا أعرفه حتى لا أضرب ثانية.. فقلت للمحقق هو صديق شقيقي لكنه لا يحضر إلينا كثيرًا.. فضحك المحقق وقال لزميله كفاية عليها كده.. البنت بدأت في التخريف.. وعبثًا حاولت أفهم السر وراء هذا الإفراط في العنف من قبل الضباط معنا.. ولما كنت صغيرة لا أدري هذه المفاهيم سألت شقيقي محمد يومًا أثناء انعقاد جلسة المحكمة وهو في القفص عن حجم هذا العنف الذي مورس ضد أسرتنا وكنت وقتها في الثانية عشر من عمري فقال لي شقيقي: لا تحزني سيجعل الله

بعد عسر يسرًا.. لا تهتمي إنها السادية التي أصيب بها أغلب أفراد الجهاز وهو بحاجة إلى مراجعة جديدة وإعادة تأهيل، والبعد عن هذه الممارسات اللا إنسانية حتى يمكن الاستفادة منهم فيما بعد وبدون ذلك وغير ذلك.. فليرحم الله المصريين وشعب مصر.. ذات مرة تم اقتيادي أنا وأمي إلى سراي النيابة وأمر المحقق بفك قيودي وكشف عيناي وبدأ في أخذ أقوالي التي جرت كالسيل الجارف من فمي.. أقوالي كلها كانت إدانة لشقيقي محمد.. كانت أمن الدولة لقنتها لي بصورة متأنية تحت الإكراه.. ولما رأى المحقق آثار الإصابات الظاهرة عليّ وعلى أمي..

وسألنا المحقق: من عمل فيكم كده؟ فقلت له كذبًا وخوفًا: إن أمي ضربتني.. ولما كانت ضريرة سقطت من على السلم ليحدث لها كل هذا الكم من الإصابات وهنا ضحك رئيس النيابة ضحكة ملؤها الخبث..

وقال لي: بايـن عليكـي فاهمة كويس.. وأحضر لي شاي! اعترفت كذبًا وأدنت شقيقي! ولم أسامح نفسي لقضاء أخي زهرة شبابه خلف الجدران.. تخيل معي حجم المأساة وأنا أقر وأعترف أنا وأمي ليدان شقيقي محمد.. بعد ذلك يقف رئيس النيابة ويطلب لأخي بالإعدام شنقًا..

بعد نهاية التحقيقات عدنا إلى منزلنا وجدنا أن جميع الأشياء قد نهبت!! ونمت أنا وأمي على سجادة على الأرض ووجدنا جميع الجيران والأصدقاء يخشون الحديث معنا وذلك لعده سنوات.. وامتد بطش أمن الدولة إلى كل أقاربنا.. ولكن الله يفعل ما يريد.. هذا بعض ما تعرضت له أسرتنا والمعاناة التي ذاقتها أسرتي وأقاربي ووالدي المربي الفاضل مدير مدرسه طه حسين للمكفوفين.. كذلك زوجته وأولاده وتوفي والدي بعد ذلك من جراء ما حدث له.. وأنا لم أذكر أخي الآخر الذي يصغر محمد الذي ظل معتقلًا ٢١ سنة لمجرد أنه شقيق محمد ولم يكن له أي اتجاه سياسي أو ديني وقتها..

س:السيدة عبير هذا سؤال من شقين ما هي الظروف التي أدت إلى اعتقال شقيقك محمد بعد إدانته في قضية السادات؟ ولماذا اعتقل شقيقك طارق وكم عام مكث في السجن؟

جـ: أخي محمد لم يدان في قضية اغتيال السادات، ولم يكن له أي دور فيها.. إلا أنه أدين في قضية الجهاد الكبرى والتي تعد رافدًا لقضية الاغتيال ونظرًا لارتباط القضيتين فكان من الصعب التفريق بينهما.. صحيح أن قضية السادات هي الأشهر.. ولقد علمت أن الأمن يراقب أحد أصدقاء شقيقي محمد ويدعي صلاح وبسبب هذه المراقبة تمت محاولة اعتقال شقيقي محمد إلا أنه تمكن من الهرب وقتها، ثم قبض عليه وأدين بعد ذلك.. أما الشقيق الآخر لمحمد فهو الضحية فعلًا، وتم اعتقاله أكثر من مرة بسبب ارتباطه الشديد بشقيقه محمد وكان هو المسئول الأول عن رعايته بعد سجنه فتم اعتقاله طبقًا لقانون الطوارئ ولم يقدم للمحاكمة! وفي كل مرة يتم اعتقاله فيها يبرأ وبلغت عدد سنوات اعتقاله ٢١ عامًا متفرقة!! لقد تم أخذ أخي طارق كرهينة طيلة هذه الفترة واعتقل وهو في الثانوية العامة ليخرج من سجنه شيخًا أشيبًا بعد ذلك.

س: وأين شقيقك هذا الآن؟

جـ: بعد أن قضى أخي ٢١ عامًا في السجون أصيب خلالها بالسكر والضغط ومشاكل في الكلى وقطع بالأربطة الصليبية بالقدمين من جراء تعرضه للتعذيب.. وبعد أن أُخلي سبيله من السجن تفنن النظام السابق في التضييق عليه ووضع العراقيل أمامه.. وكان قد تزوج ورزق بطفلين ويعاني من البطالة في بلاده والبطالة كما تعرف قاسم مشترك لدى جميع الشباب في مصر.. رغم اجتهاده لحصوله على شهادة الماجستير في اللغة العربية إلا أنه لم يحصل على عمل في بلاده فقرر السفر إلى إحدى الدول العربية فهو الآن صاحب مسئوليات أهمها محمد شقيقي المسجون -أفرج عنه - وهو بخير ودائمًا على اتصال بي.

س: مدام عبير أنتم من أسوان ومن قبائل الكنوز النوبية تحديدًا وقد اشتهروا بالهمة العالية والأخلاق الكريمة الطيبة.. ما هو شعورك بعد اتهام أشقائك باتهامات تتنافى مع هذه السلوك الحميدة؟

جـ: أقول حسبي الله ونعم الوكيل في كل من شوه صورة المسلمين.. ويكفي أن أقول لك أن الذي تفنن في تشويه صورتنا في كل مكان ويصفنا بالتخلف والإرهاب هو الآن ذليلًا في شرم الشيخ.. لا يجد قلب يرحمه أخرجه شعبه دون أن يلتمس له أي أعذار وصدق رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**».. تحيل معي ٣٠ عامًا من الإملاء فكان لكل بلاء نهاية، وأحسب أن ذلك امتحان من الله عَزَّوَجَلَّ وحب لعبيده الضعفاء يقول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم..**» ولا أجد بلاء أشد على الناس من حسني مبارك الرئيس المخلوع.

س: تردد أن الأخوة محمد وطارق ورغم مرورهم بظروف سيئة في السجون المصرية إلا أنهما نجحا في إنهاء دراساتهما في العديد من الكليات بل وحصلا على أكثر من دبلوم عالي من المعاهد والكليات أليس هذا نوع من الانفراجة التي كانت تحدث أحيانًا في السجون المصرية؟

جـ: دخل محمد السجن وقد انتهى من دراسته الجامعية أما طارق فكان طالبًا في الثانوية العامة وحرصًا منهم على مواصلة التعليم رغم العوائق التي وضعت أمامهم احتال محمد لرؤية أخيه، وكان محمد في سجن الاستقبال وشقيقه طارق في أبي زعبل ولا يمكنهم رؤية بعضهم البعض إلا عن طريق هذه الامتحانات.. وتقدم الأخوين لأداء امتحان الثانوية العامة، وبالفعل التقيا سويًّا ونجح كل منهما والتحق محمد بكلية التجارة والتحق طارق بكلية دار العلوم.. واقتصر دوري وقتها على إحضار الكتب والمذكرات لهم وكنت أجد صعوبة بالغة في إدخال الكتب إلى السجن وأمام إلحاحي كانت إدارة

السجن تستلم الكتب مني، وعلمت بعد ذلك إن الكتب والمذكرات لا تعطى لهم إلا قبل شهر من الامتحانات يسلمونهم الكتب فقط من دون المذكرات والأقلام!! حتى أن شقيقي محمد والمعروف بتفوقه في الدراسة مكث ثلاث سنوات وهو يرسب في أكثر من مادة لعدم تسلمه الكتب في الموعد المقرر!! المهم أنهم واصلوا الدراسة وكلما انتهوا من الدراسة في الكلية انتظر بعضهم البعض الالتحاق بكلية أخرى حتى التحق الاثنان بكلية الحقوق وحصلا على دبلوم الشريعة الإسلامية العالي، وحصل أحدهم على ماجستير اقتصاد.. أما الآخر فاكتفى بماجستير لغة عربية فور خروجه من السجن..

وفي واقع الأمر كنت أشعر أن الذي حصل على كل هذه المؤهلات الجامعية هو أنا وأمي -رحمها الله- نفرح لنجاحهم رغم هذه الظروف القاسية ونحزن لإخفاقهم، وفي كل الأحوال كنت أشعر بتفوقي ونجاحي وكوني أشاركهم في المأساة.

س: سيدتي الفاضلة أنتِ متزوجة ولديكِ ثلاثة أبناء وعلمنا بإجراء إحدى العمليات الجراحية الخطيرة مما جعلكي لا تعودين إلى هيئتك الأولى.. والسؤال هنا كيف توفقين بين حياتك الخاصة ورعاية أشقائك المسجونين؟

جـ: أولًا توفيق الله عَزَّوَجَلَّ وحده هو الذي أمدني بالقوة وأعانني على تحمل كل الصعاب والمستحيلات ..

ثانيًا- زوجي الكريم لم يشعرني يومًا بأن رعايتي لأشقائي والاهتمام بهم سيكون على حساب أولاده وحسابه هو شخصيًّا، لقد كان زوجي من أعز أصدقاء أشقائي وكان لا يجد أي غضاضة في اهتمامي بهم بل كان يقوم هو شخصيًّا بمساعدتي في رعايتهم.. أما موضوع إجرائي لعدة عمليات جراحية فهذا صحيح ولم تقف هذه الجراحات حائلًا دون مساعدتي لأشقائي والحمد لله أنا بخير بفضل دعوات الصالحين من العباد.

س: السيدة عبير تحمل سجلات الأسواني الكثير والكثير.. منها أنه الشخص الوحيد الذي تمكن من الهروب من أصعب السجون المصرية (سجن الليمان) بطرة في وقت كان الهروب فيه يعد حلمًا يتمناه كل سجين في مصر والعالم فهل لكِ أن تلقي لنا حزمة ضوئية على هذه الواقعة المستحيلة؟

جـ: لاحظ حضرتك أنك قلت واقعة مستحيلة لكن هذا لم يكن سوى واقع عجيب فعلًا، وأحسب أن السجناء الذين تمكنوا من الهروب من هذه السجون نوعيتهم فريدة، ولا أعلم حتى الآن بتكرار مثل هذه الحادثة.. أذكر أنهم كانوا حسبما قرأت في الصحف المصرية أنهم أربعة أفراد: ضابط برتبة مقدم أركان حرب اسمه عصام القمري، وضابط صف بسلاح الصاعقة اسمه خميس مسلم، والشيخ نبيل المغربي، وأخيرًا شقيقي محمد الأسواني.. وحسبما عرفت أن شقيقي كان أصغرهم وأقلهم خبرة وقتها، وقد تمكن ثلاثة فقط من الهروب ولخطأ فني لم يتمكنوا من اصطحاب الشيخ نبيل ليذوق أصناف التعذيب ويرى العجائب في سجنه بعد فرار زملائه.. ونعود إلى بداية الموضوع كان يوم زيارة وخرج علينا شقيقي محمد ببدلة السجن الزرقاء وكان مستاءًا وغاضبًا أشد الغضب وقد اختفت الابتسامة والتفاؤل من وجهه تمامًا، وبمجرد رؤيتنا أنا وأمي قال لنا: «هو الراجل ده مش ناوي يجيبها البر» -يقصد المخلوع حسني مبارك- قلنا له: ماذا حدث تاني؟ فقال محمد: يعني هو لم يكفيه ثبوت التعذيب الذي أثبته الطب الشرعي علينا وإحالة بعض من ضباط أمن الدولة إلى محكمه الجنايات لتعذيبهم سجناء الرأي في مصر وكل من كان له علاقة بهم من أسرهم وأصدقائهم؟..

إنها لمسرحية سخيفة أن يتم تبرئتهم من أول جلسة حتى إن حسني مبارك منحهم الأوسمة والنياشين ورحلات الحج والعمرة!! ثم أضاف: إيه اللي بيحصل ده هو إحنا دمنا رخيص للدرجة دي؟! واستطرد قائلًا لأمي: الصبر طيب يا حاجة بكرة هتسمعي

حسني مبارك لا يجد ملجأ يحميه ولا قلب يرحمه.. وكانت أمي تشفق على محمد الذي يعاني من السكر والضغط.. إلا أن سنوات القهر والإذلال التي قضاها في السجون المصرية تقف حائلًا دون أن يجعله يستكين أو يهدأ ودوي صفير معلنًا انتهاء الزيارة وانصرفنا منها بعد أن طلب مني ومن أمي مغادرة المنزل والسفر إلى البلدة وطلب عدم الحضور له في الزيارة مطلقًا حتى يعلمنا هو بموعدها التالي. إن الحالة التي كان عليها محمد وهو يودعنا لا توصف كانت مزيجًا من خيبة الأمل في نظام مبارك والحنق الشديد عليه والشعور بالمهانة.. فلقد التمس العدل فلم يجده، بل أخرج له القوم ألسنتهم فلم يتحمل القهر في السجون المصرية والذي فاق كل آلام البشر..

وبعد ثلاثة أيام من زيارتنا له استمعنا بإذاعة لندن بهروب ثلاثة سجناء سياسيين من سجن طرة.. فأخذت استعرض في نفسي من يكون يا ترى؟..

ولم أتوقع أبدًا أن يكون شقيقي محمد من بينهم لتكاثر الأمراض عليه والتي تقف حائلًا دون هروبه.. وفوجئت بالأسماء وكان أخي محمد من بينهم!! وما بين ذهول وتعجب وسرور وفجأة تحطم باب الشقة وكنت أنا وأمي في البيت وقتها.. وفشلنا في إقناع رجال الأمن بعدم معرفتنا بمكان شقيقي محمد فتم إهانتنا وضربنا وتحطيم أثاث المنزل.. وتم اقتيادنا في رحلة عذاب تشبه تلك التي قطعناها منذ سبع سنوات إلى مبنى مباحث أمن الدولة بلاظوغلي.. وكنا حفاة أنا وأمي وبثياب المنزل ودون غطاء للرأس.. وبعد يومين من التعذيب المستمر جاء أحدهم ومعه خطاب مفاده أن هناك من اتصل بمنزل الأسواني يخبر أمه بشعوره بمزيد من الذل والضيق وأنه يشعر بعد تبرئة ضباط التعذيب إنهم سيقومون بالانتقام منه وأخبرني أنه يحبني أنا وأمي وطلب من أمي أن تسامحه في كل ما سيحدث لنا..

س: تقصدين أنه هرب لينتقم تحت بند القصاص؟

جـ: لا أعلم ما الذي كان يدور في رأس أخي محمد وقد أدين من قبل دون سبب واضح ومحمد رغم إدانته لم يكن قاتلًا في يوم ما، لكن هذه الأسباب التي دعت محمد للهروب من السجن مستخدمًا أدوات بدائية، وقبض على محمد بعد ٢١ يومًا من هروبه ليدان ويحكم عليه بأحكام جديدة ١٢ عام لترفع في رصيده في مصلحه السجون كمؤبد ثم الهروب وهناك المزيد.

س: ماذا تقصدين بالمزيد بالضبط؟

جـ: في حقيقة الأمر أضيف لأخي محمد أحكام جديدة تكفي لقضائه باقي حياته في السجون، فأثناء وجوده بسجن العقرب ممنوع عنه الزيارات تمامًا لسنوات وكانت هناك مجموعة من الشباب من منطقة عين شمس تقوم برعاية وكفالة أسر السجناء قبضت أمن الدولة عليهم ولجأت إلى حيلة عجيبة لتأديب هؤلاء الشباب ووجه الادعاء لهم تهمة قلب نظام الحكم!! ولما كانوا شبابًا ليس من بينهم شخصية معروفة استعان الأمن بقيادات قديمة أدينت من قبل ووضعت في السجون ووضعتهم على رأس هذه المجموعات! واتهموا بإمدادهم بمعلومات تؤدي إلى قلب نظام الحكم بالقوة المهم أدين من أدين وحكم على السجناء المستعارين بأحكام تراوحت بين مؤبد وعشر سنوات والإعدام، كان نصيب شقيقي ١٠ سنوات لإصابته بالشلل وقتها.. وقال القضاة أنهم استعملوا الرأفة مع شقيقي التي لم يتعرف على أي من المتهمين الجدد. ولك أن تتخيل شارع بأكمله في منطقه عين شمس يساق إلى المحاكم العسكرية لأنهم يساعدون أسر السجناء.. وآخرون قد اعتقلوا لأنهم نظموا دورة كرة قدم وقيل وقتها أنهم يمارسون الرياضة العنيفة وكان من الأجدر لمن قبضوا عليهم أن يشتروا لكل شاب منهم كرة

ليلعب بها بدل من الألعاب الجماعية التي تؤدي بهم إلى السجون وقضاء بقية العمر داخله.

س: كيف تم القبض على محمد بعد الهروب؟

جـ: بعد أن تمكن محمد من الهروب ٢١ يومًا كان الأمن قد ألقى القبض على أحد أصدقائه وتحت الضغط الشديد قام بإخبار الأمن عن مكان شقيقي ولا أعرف بالضبط الطريقة التي قبض عليه بها، ولكني علمت أن زكي بدر وزير الداخلية وقتها قد أعطى الضوء الأخضر بتوجيهات من حسني مبارك بضرورة تصفية العناصر الهاربة وبالفعل قتل اثنان وأصيب أخي وأعادوه إلى السجن ليستكمل العقوبة الأصلية وزيادة عليها.

س: ما هو أثر عملية الهروب والقبض على محمد وعلى أسرته وزملائه والناس كلها في ذلك الوقت؟

جـ: أقول إن هروب محمد وزملائه من سجنهم كان بمثابة صفعة قوية وجهت للنظام المصري آنذاك، فالهروب كان بمثابة صفعة ووضع هذا النظام المتغطرس وقياداته على المحك.. وفي الواقع لم يكن هروب محمد وإخوانه أمرًا يسيرًا، فالحراسات مشددة وظروف السجن في منتهى السوء وقسوة المعاملة والتفتيش الذي يجري على الزنازين يتم ليل نهار.. وأنا أعلم جيدًا حجم الآلام التي كانت تعصر قلوب السجناء وقتها، وبإمكانيات بدائية بسيطة تمكنوا من الهروب.. واستنفر النظام المصري وقتها أمن الدولة والجيش والحرس الجمهوري والأمن العام والأمن المركزي وسُخِّرت كل أجهزة الدولة للبحث عن شقيقي وزملائه الهاربين! وانتشرت الأكمنة في طول البلاد وعرضها وتم اعتقال الناس عشوائيًّا بل وتم القبض على بعض الأحياء كاملة.. ثم تمت عملية قتل خارج نطاق القضاء لجميع زملاء أخي ثم عودته مصابًا منفردًا إلى السجن.. وقد علمت أن النظام كان قد أهدر دماء الفارين جميعًا، وأصيب أخي في قدمه وذراعه ورأسه ونجاته

من الموت ولكن المذايع أذاع نبأ مقتل محمد الأسـواني وشقيقه ولم يتحمل والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هـذا الخبر فسـقط من فـوره وفارق الحيـاة.. أما بالنسـبة للأقارب والناس فـكان نجاح الهاربـين شـيئًا باهرًا أعاد الثقـة في رأيي إلى الناس جميعًا وعـدت الهاربين كأبطال قوميين مخلصـين أحدثـوا نكاية في هذا النظـام المتسـلق.. وبالقبض على محمد الأسـواني ومقتل زملائـه عـادت خيبـة الأمل وقـد أطلت برأسـها في كل بيت وفي كل نجـع وفي كل قرية مصرية.

س: ماذا حدث بعد ذلك؟

جـ: على مدار عامين تم الحرمان من الزيارة ولم تسـمح إدارة السـجن لي ولوالدتي بالزيـارة مطلقًـا لهم وكنا نلتقي بمحمد عند مثولـه في المحكمة وهو في قفص الاتهام بعد تقديمه إلى محاكمة اسـتثنائية بتهمة الهروب.. ومن السـخرية أن القاضي الذي كان ينظر القضية كان المستشـار سـليمان أيوب وهو الذي سبق وأن حكم وفي الجلسة الأولى ببراءة كل الضبـاط الذين شـاركوا في تعذيب السـجناء السياسـيين في قضيه الجهـاد الكبرى!! وبمجـرد أن رآه أخـي محمد حدثت بينهما مشـادة انتهت بطلب أخـي تنحي القاضي عن نظـر القضية، وبعد جدل طويل تمت تنحية القاضي وقدم المتهمون أمام المستشـار محمود رفقي التي كانت أحكامه كلها رفقًا بالعباد فتمت تبرئة جميع المتهمين وحكم على شقيقي محمد بـ ١٢ سـنة سجن وبانقضاء الدعوى بالنسـبة للمتوفين في القضية.. ويكفي الذكر أن أشـقائي قد أنشـأ النظام السـابق سـجنًا خاصًّا لهم ويعتبر محمد الأسواني هو أول من تم توطينه في هذا السـجن الرهيب خاصة أنه سـجن يتفق مع إمكانات أخي ولقد تحمل أخي على ظهره ٣٠ عامًا من الآلام وكأسطورة تجاوزت روايات السجناء وأصبح الأمن يـدرس قصـة الهـروب كمقرر دراسي للاسـتفادة منهـا.. إن أخي محمد أمضى في محبسـه ١٥ عامًـا كاملة مغلـق عليه هو وزملائه لا يرون الشـمس أو أي مصدر ضوئي غيرها!!

ولا يعرف ما يدور حوله في العالم ولا يعرف شيئًا عن أهله ولا يعرفون شيئًا عنه!! لقد أمضى محمد ٣٠ عامًا في تلك المحنة وقد فارقه الشباب وودعه إلى الأبد وكان قد سجن وهو في ٢٣ من عمره وهو الآن قد تجاوز الـ ٥٣ وقد أدبر عنه العمر ونسأل الله له السلامة..

س: سيدة عبير ممكن تشرحي لي كيف كانت زيارتكم لمحمد؟

جـ: سأقول لك يا سيدي مرت الزيارات في السجون بفترات متباينة، تكون مقبولة أحيانًا وأحيانًا أخرى غير مقبولة نهائيًّا، وسأروي لك شهادة المقدم لطفي وزيري أمام محكمة أمن الدولة يصف فيها كيف كانت الزيارة.. سأله القاضي سؤالًا واحدًا.. صف لي كيف تكون الزيارة؟ قال المقدم لطفي: الزيارة مدتها حوالي ربع ساعة بين النزيل وأسرته من الدرجة الأولى، ويكون بينهما سلك شائك مكون من سورين وحراس يمرون باستمرار بين الزائر والسجين الذي يقف ومعه مخبر ومخبر آخر مع أفراد أسرته ولا يمكن أن يصل شيئًا مطلقًا من الأهالي إلى السجين أو من السجين إلى الأهالي.. وعن كيفية وصول الطعام إلى النزلاء؟ قال لطفي: إنه يُسْمَح بوجبة واحدة للنزيل وكيس فاكهة ولتر كوكاكولا، أما الملابس فيصرفها السجن له ٢ شورت و٢ فانلة و٢ بدلة واحدة للصيف والأخرى للشتاء.. ويصرف لهم كوب و٢ أطباق بلاستيك واثنين بطانية. هذه هي الشهادة التي ذكرها الضابط أمام محكمة أمن الدولة.. وبها تمت تبرئة شقيقي الأصغر طارق من تهمة مساعدة محمد في إحضار معدات ليهرب بها، بعد أن تبين لهم استحالة دخول أي شيء عبر الأسلاك مطلقًا. بعد هذه الشهادة تم منع زيارة السجناء.. ومن اليوم الأول لسجنه تمت زيارته في ظروف كلها قسوة.. وبعد عام من القبض عليهم انقطعت الزيارة لمدة عامين كاملين.. ثم سمح بها ثانية.. ثم قطعت لمدة عام.. ثم فتحت.. ثم قطعت مرة أخرى لمدة عشر سنوات!! لتصبح مدة قطع الزيارات

١٥ عامًا كاملة، وتم منعي فيها من رؤية شقيقي والذي كان يعيش في زنزانة انفرادية ومحاط بالظلام ولا تفتح أبدًا إلا للتحقيق معه أو العرض على النيابة. إنه تعذيب ممنهج ومنظم للسجين وأهله..

وقصة أم رجب رحمها الله شاهدة العذاب الأهل في الزيارة.. فقد حضرت أم رجب الغضبان يوم الخميس من أسيوط وكان القطار متأخرًا فوصلت أمام باب السجن في الساعة الثانية بعد الظهر وتم منعها من الدخول بحجة أنها لم تحضر في الثامنة صباحًا لاستخراج تصريح الزيارة!!

تخيل السيدة جاءت من الصعيد ولا تعرف أحد في القاهرة.. فما كان منها إلا أن نامت بجوار سور السجن يومي الخميس والجمعة.. وفي صباح السبت تمكنت من زيارة ابنها عبر السلك لمدة ١٠ دقائق فقط!! تصور تخرج من بيتها في الصعيد في منتصف الليل وتستقل القطار الذي يتأخر بها فتصل الساعة الثانية عشر ظهرًا محطة رمسيس ثم تصل أمام بوابة السجن الساعة الثانية فتمنع من زيارة ابنها وتنتظر يومين لكي ترى ابنها لمدة ١٠ دقائق فقط.. حسبنا الله ونعم الوكيل..

والقصة الثانية لوالدة الأخ محمود الجمل كانت تحضر إليه كل يوم وتجلس بجوار السور عسى أن يسمح لها بزيارة ابنها ولكن دونما جدوى ..

والقصة الثالثة في سجن الفيوم وهي زيارة شقيقي الآخر طارق والمسموح بها مرة كل شهر لمدة ١٠ دقائق هذا لو تمكنا من الحضور في الثامنة صباحًا.. أو نعود دون الزيارة.. وأحيانًا كانوا يتسلمون الزيارة منا لتوصيلها إلى شقيقي الصغير طارق.. ولكن علمت بعد ذلك أنه لم يكن يصله أي شيء!! كنت أخرج من منزلنا في شبرا بصحبة أمي الكفيفة المسنة، نستقل الباص إلى رمسيس ومن رمسيس إلى الجيزة في باص آخر.. ثم نركب أتوبيس المحافظات إلى محافظة الفيوم لنستقل مواصلة أخيرة إلى باب السجن.. تصوروا حجم المعاناة ٤ مواصلات لرؤية أخي ١٠ دقائق وأحيانًا لا نراه مطلقًا..

أما سجناء الوادي الجديد.. فحدث ولا حرج، الغالبية ترفض الزيارة لبعد المسافة وعدم رؤية أهاليهم فترات طويلة.. إلا في صورة مذلة كانوا يخرجون النزلاء يجلسونهم مثل أسرى الحرب في طابور عرض!! ٥ أفراد دونما انتعال شيء وزيارة سلك.. ولا يسمح لهم بالوقوف إلا عند وقوف أهالي السجناء الذين لا يتعرفوا على أبنائهم من شده الزحام.. الزيارة ١٠ دقائق فقط!! يؤمروا بالجلوس والانصراف وهم في وضع القرفصاء.. من القاهرة إلى أسيوط إلى الواحات في سجن الوادي الجديد ٣٠ ساعة مواصلات ركوب ونزول قبل السجن غير المشي في الصحراء لمدة ساعة أو أكثر حتى يصل الأهالي إلى باب السجن.. وغالبًا ما ترفض الزيارة بعد قطع كل هذه المسافة!! ويترك الأهل الأطعمة للحراس وينصرفوا وغالبًا ما يتم إبعاد الأهالي عن السجون بطريقة مهينة عن طريق الكلاب البوليسية والخيول.. ولن أتحدث عما كان يجري في سجن دمنهور.. ومن أسوأ المواقف ما حدث في سجن أبي زعبل.. لن أنسى موقف الأم التي منعت ١٥ عامًا من زيارة ابنها، وعندما سمحوا لها بالزيارة توفاها الله.. وموقف الأب الذي لم يتعرف على أبناءه!! والأبناء الذين لم يتعرفوا على أبيهم!! والزوجة التي لم تتعرف على زوجها لتغير ملامحه!!

س: سمعت عن الابتلاءات التي تعرضت لها الكثير من النساء والأطفال في سجون مصر حيث تم سجنهم للضغط على أقاربهم؟

جـ: كلام سليم دخلت سجن النساء أنا وأمي وبعد حوالي شهر أفرج عنا بعد القبض على محمد .. وهناك أيضًا تم احتجاز زوجة الشيخ نبيل المغربي أسكنوها نفس الزنزانة التي أقامت فيها أمي من قبل.. وكذلك زوجة الشيخ عبد ربه كانت في زنزانتي والتي عاشت فيها خمسة عشر عامًا كاملًا!! والكثير من النساء اتهمن في قضايا تفجيرات الأزهر والعديد من السيدات وضعن نفس السجن القبيح..

س: بعد قيام الثورة المصرية هل لا زلت تعانين تلك المعاناة القديمة في السجون؟

جـ: لا والله انقلب الحال ١٨٠ درجة بمجرد قيام الثورة تقلص دور أمن الدولة فتحول السجن إلى وضع آخر.. وكم كنت أتمنى أنه لو عاشت أمي إلى الآن لترى.. أنا الآن أزور محمد يوميًّا وأدخل كم لا بأس به من المأكولات، وأحضر له كثير من الملابس.. كل ذلك بفضل الله ثم نجاح الثورة..

هنا نقطة فاصلة في الحوار.. أثناء عمل الحوار المطول خرج الأسواني من السجن.. وتكمل الأخت عبير شقيقة الأسواني فتقول: الذي يؤلمني وبعد خروج شقيقي محمد من السجن هو بقاء ٨٤ نزيلًا سياسيًّا من زملاء شقيقي في السجن!! وأريد أن أسأل سؤالًا: إنه لو قدر الله وفشلت الثورة هل سيتم تقديم الثوار إلى المحاكمات بوصفهم متمردين وهم الآن أبطال بعد نجاح الثورة.. أليس من الإنصاف أن يعد هؤلاء السجناء -معظمهم مرضى- أبطال على المعاش ومحاولة تعويضهم عن هذه السنوات التي فقدوها.. إن التهمة التي كان سيقدم لها الثوار هي نفس التهمة التي سجن من أجلها ما تبقى من السياسيين في سجن العقرب وسجن المنيا.. ومعاناتي لم تنتهي بعد برغم خروج محمد أخي ما زلت أشعر بالاضطهاد والظلم الشديدين.. ومعاناة أسرة الأسواني لم تنتهي إلا بالإفراج عن كل السجناء السياسيين في السجون المصرية.. فعندما سجن نيلسون مانديلا قامت الدنيا ولم تقعد من أجله.. أما السياسيون في مصر فلا أحد يبكي عليهم رغم قضائهم أحكامًا طويلة، وأقول لكل من تسبب في هذه المأساة: اعلم أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المصدر: المرصد الإعلامي الإسلامي - المرصد الإسلامي لمكافحة التضليل الإعلامي

٥٥ يومًا معصوب العينين وموثق اليدين والصعق بالكهرباء عقاب من يرفض الكلام

«سامح عبدالسلام معروف» شاب في العقد الرابع من العمر خريج كلية الهندسة «قسم كمبيوتر» تغيرت حياته في لحظات، ذلك الشاب المتدين الملتحي دائم الصلاة في المساجد المختلفة، تحول من مهندس كمبيوتر إلى بائع في «سوبر ماركت» حتى تزوج ورغب في بناء حياة جديدة حتى فوجئ بزوار الفجر يطرقون باب منزله مساء الأول من يناير للقبض عليه بعد التفجير الذي استهدف «كنيسة القديسين» الأمر الذي أزعج زوجته لتفقد حملها الذي كان الأمل في مستقبل جديد.

لم يكن هذا الشاب مجرد معتقل فقط وإنما كان شاهد عيان على جرائم مباحث أمن الدولة في مدينة نصر خاصة على ممارساتها الأخيرة حتى آخر لحظة قبل الثورة وبعد الثورة.

سامح عبد السلام معروف هو نفسه كان شاهدًا على تفاصيل وفاة «سيد بلال» هذا الشاب السلفي الذي توفي على إثر التعذيب داخل مديرية أمن الإسكندرية القديمة.

يروي معروف تفاصيل عن جهنم الحمراء أو السلخانة بمباحث أمن الدولة بمدينة نصر يروي أنه تخرج في كلية الهندسة متفوقًا وحمل «الكفاح في الحياة» كرسالة وكان شابًّا عاديًّا وليس متدينًا أو ملتزمًا، ولكن مشهد إنساني في قطار لوفاة أحد الأشخاص، جعله أكثر اقترابًا من الله والالتزام بتعاليم الإسلام والصلاة في المسجد، ثم بدأ في حضور الدروس الدينية وتصادف حضوره مناقشة حول الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٦، فما كان منه سوى أن أبدى رغبته في المشاركة في الدفاع عن العراق ضد الغزو الأمريكي ويبدو أن تلك الكلمة وصلت إلى مباحث أمن الدولة بالإسكندرية ليفاجأ بزائري الفجر

يطرقون بابه ويذهبون به لمقر مباحث أمن الدولة بمنطقة الفراعنة ليتعرف على أهوال هذا الجهاز، البداية تعصيب للعينين وتقييده من الخلف والحجز داخل زنزانة ثم ترحيله في عربة ترحيلات وهو معصوب العينين ومقيد ليصل وسط إهانات لفظية وضرب من أمناء الشرطة إلى مدينة نصر أو كما يصفها «جهنم الحمراء» جلس على الأرض وبدأت التعليمات تصدر من الضباط مثل «أنتم الآن في مصر ومن لم يأت هنا. لا يعرف مصر. هذه جهنم الحمراء. أنتم بلا أسماء. أنتم أرقام فقط. العلاج والنوم والطعام واجبات مقدسة والتلاعب فيها أمر يستوجب العقاب والخضوع لجلسات تعذيب بالكهرباء. التواجد في زنزانة النوم بمواعيد والتقلب أثناء النوم ممنوع وأي مخالفة تعني التعذيب.

وسط كل هذه الأجواء، لا يعلم سامح ما تهمته، فقد تم اختطافه بدون العرض على النيابة، أو القضاء وفجأة يتم استدعاء سامح لمقابلة الضابط المكلف باستجوابه وكان الاتهام هو الارتباط بالقاعدة. والرغبة في السفر للعراق للانضمام «لتنظيم جهادي» فهذه هي المعلومات التي قدمها العميل ضد معروف. جلسات التعذيب مستمرة بالكهرباء الوضع على سرير وتوصيل الأسلاك لكافة أجزاء الجسم ثم الاستجواب. خلع الملابس كاملة والوقوف لعدة ليال، سيناريو استمر ٤٢ يومًا، لا يرى شيئًا، والعلاج مستمر والطعام إجباري حتى لا يموت، ثم فوجئ بصدور قرار اعتقال لمدة عامين لا يعلم شيئًا عن حياته ومستقبله.

ثم عاد سامح معروف إلى الحياة بعد تجربة أضاعت من إنسانيته الكثير، ليخرج من معتقله للحياة الطبيعية ليجدها أصبحت معتقلًا آخر، فمهندس الكمبيوتر تحول إلى بائع في محل، والشركات أصبحت ترفضه، فقد أصبح من زائري أمن الدولة. وخلال ثلاثة أعوام حاول سامح العودة من جديد وعندما تزوج وأراد أن يبني مستقبلًا جديدًا جاء الزائرون عقب ساعات من التفجير الذي استهدف كنيسة القديسين ماري مرقص

بمنطقة ميامي، وكان سامح قد تزوج وانتقل من منزله ليفاجأ باتصال تليفوني من ضابط أمن الدولة ليخبره بأنه في منزل والدته وأن والدته وشقيقته معه حتى يأتي، هرع الشاب ليجد والدته التي تجاوزت من العمر الستين عامًا تقف في الشارع في حالة هلع ليعود من جديد إلى جهنم. بات ليلة بقسم الرمل ثم توجه إلى عربة ترحيلات إلى مقر مباحث أمن الدولة بالفراعنة معصوب العينين ومقيدًا ثم تم اقتياده إلى مديرية أمن الإسكندرية القديمة في الدور الرابع بمنطقة اللبان التي تحولت لمقر استجواب ١٦ من المقبوض عليهم.

فظائع التعذيب:

أربعة أيام من التعذيب المتواصل من الساعة الثانية عشرة ظهرًا وحتى العاشرة مساءً، ثلاثة ضباط يجرون التعذيب بالكهرباء ولكن ضغط الكهرباء كان أعلى من السابق ثلاثة ضباط قسموا أنفسهم على جسده، أطراف الأسلاك تناثرت على جميع أعضائه. ظل يردد كلمة «يارب» فما كان من الضابط سوى وضع حذائه على فمه ليأمره بألا يذكر هذه الكلمة مرة أخرى، مأساة إنسانية بكل المقاييس عاشها سامح معروف لم تكن الأسئلة تخص ملابسات التفجير ومكان وجوده أثناء وقوع الحادث، وإنما الرغبة في معرفة اتصالاته بالخارج، أو أن لديه عنوان بريد إلكتروني (إيميل) ذلك الشاب المهندس في قسم الكمبيوتر، منعه الخوف من الوقوع في المتاعب

من أن يكون لديه «إيميل» أبسط قواعد الكمبيوتر. وعقب أربعة أيام من التعذيب المتواصل توقفت فجأة لم يكن يعرف السبب في الترحيل إلى السلخانة الكبرى بمقر الجهاز بأمن الدولة بالقاهرة بمدينة نصر ولكن السبب كان وفاة «سيد بلال» بفعل التعذيب وإلقائه في الشارع أمام أحد المراكز الطبية.

يوم ٢٥ يناير

حالة من الرعب أصابت المعتقلين داخل الجهاز بعد ٢٥ يناير ليس لتعذيب أو لضرب أو لإهانة جسدية ومعنوية وإنما بسبب المعاملة التي تغيرت تمامًا. الضباط ينادون المعتقلين بلقب «حبيبي» زيادة في الطعام المقدم. السؤال عن الصحة والحال وهل يريد المعتقل أن يشرب شايًا أو مشروبًا ساخنًا! رعب سيطر على المعتقلين وأصبح القادم مجهولًا، يبدو أن المعاملة ستأتي بالموت أو القتل أو الدفن.

اهتمام بالعلاج، أعداد المعتقلين تقل، وحالة من الرعب تنتاب سامح معروف، وأمين شرطة بالجهاز يطمئنه ويخبره بأنه قد يكون أفضل حالًا من زملائه حتى لم يتبق غيره داخل جهاز مقر أمن الدولة بمدينة نصر. أخبره ذلك أمين شرطة وزاد بأن طالبه بأن ينام حتى يشفى من الحروق، لأنه الباقي الوحيد ليأتي يوم ٢٤ فبراير الماضي ليستدعيه.

الخروج:

وفوجئ سامح معروف في صباح اليوم التالي بإيقاظ من قبل مسئولي الجهاز له وأعطوه ملابس وحذاء واقتادوه إلى ميكروباص. مشهد لم يعتده فسيارة الترحيلات هي القاعدة، أسئلة وهواجس انتابته ماذا سيفعلون وإلى أين سأذهب حتى وصل إلى محطة رمسيس فوجئ بضباط جهاز أمن الدولة يزيلون عصابة العين التي ارتداها غصبًا ٥٥ يومًا ويعطوه مبلغًا من المال. الساعة كانت تقترب من الثامنة صباحًا، وأخبروه أن يستقل قطار الثالثة إلى الإسكندرية وأعطوه حقيبة تحمل أماناته. دخل سامح معروف إلى ساحة محطة مصر برمسيس وهو لا يستطيع أن يترجل ويرى بصعوبة لا يعلم ما في الحقيبة هل ستنفجر، ماذا سيحدث استقل القطار وحتى وصل إلى الإسكندرية لا يعلم ماذا سيحدث، أخبروه بأن يتوجه إلى مقر أمن الدولة بالفراعنة بالإسكندرية، ذهب

وأخبر نفسه، لو وجدت صورة مبارك في الاستراحة بمقر الجهاز فالنظام لا يزال باقي! وإذا لم أجدها فما أخبروني به صحيح رغم جميع المشاهد التي رأيتها في الطريق.

وذهب سامح معروف لمقابلة ضابط أمن الدولة بالجهاز بالإسكندرية الذي تعامل معه بلطف شديد ولم يكن يريد سوى العودة لمنزله، وعاد وهو في حالة ذهول ولم يصدق ما حدث، علم أن زوجته فقدت حملها من صدمة القبض عليه ورفض أن يغادر المنزل عند اقتحام المتظاهرين لمقر أمن الدولة.

(المصدر: جريدة الأهرام -العدد ٤٥٣٨٨ بتاريخ١٤ مارس ٢٠١١)

أحمد سليم كحك.. أمير الانتقام

أمن الدولة أحرقت منازل قرية كحك وأجبرت النساء على السير عرايا عقابًا لمقتل أحد ضباطها.

أفرج المجلس العسكري مؤخرًا على عدد كبير من المعتقلين السياسيين منهم أحمد سليم كحك، وهو من أعيان قرية كحك بحري والتي شهدت في مطلع التسعينيات مواجهات شرسة مع جماعة التكفير (رافد الشوقيين)، والتي نتج عنها مقتل المقدم أحمد علاء ضابط أمن الدولة، كان اغتيالهم للمقدم أحمد علاء رئيس قسم مكافحة النشاط الديني بمباحث أمن الدولة فرع الفيوم (١٩٩١م) حيث نصبوا له كمينًا أمام مكتبه بالفيوم وأطلق عليه اثنان النار من سلاح آلي فأردوه مدرجًا في دمائه داخل سيارته ولاذ المسلحان بالفرار على دراجة نارية، وكان المقدم أحمد علاء قد اتهمه عديدون بأنه جرد زوجة أحد قادة الشوقيين من ملابسها وأجبرها على السير شبه عارية عبر شوارع قريتها لأكثر من ساعة بسبب رفضها الإدلاء بمعلومات عن مكان هروب زوجها الهارب.

تم اعتقال أحمد سليم كحك من القرية نتيجة لهذه المصادمات رغم أنه لم يكن من جماعة التكفير (رافد الشوقيين) إلا أنه عرف عنه شقيقيه محمد وعلى التزامهم الديني، حيث إنه يكبرهم، هذا فضلًا على تفوق علي سليم في مجال الخطابة في مسجد القرية واعتياده معارضة الحكومة علانية على المنبر، فتم اعتقال الثلاثة من منزلهم في القرية ولكن سرعان ما اعترض أهالي القرية على اعتقال أقاربهم حيث تم اعتقال زوجات الأشقاء الثلاثة وأبنائهم وأقاربهم على اختلاف درجاتهم، فما كان من أجهزة الأمن إلا أن عاقبت جميع أهالي القرية وقامت بوضع جميع أقارب أحمد سليم وأبنائه في منزل العائلة وإحراق المنزل المكون من ثلاث طوابق، لتلتهم النار البيت بالكامل ويصاب أولاد أحمد سليم بحروق متعددة فضلًا عن إصابة أحد أبنائه بحالة من الصرع الدائم

يعالج من آثارها حتى الآن عند طبيب نفسي شهير، ولم ينته الأمر عند هذا الحد ففي عام ١٩٩٥ توفي محمد سليم كحك في سجن شديد الحراسة (العقرب) على يد جنرالات التعذيب، والتي كان يشرف عليها الطبيب مصطفى الشهاوي طبيب السجن آنذاك، وفي نفس التوقيت توفي ابن عمه سيد سليم في سجن أبو زعبل شديد الحراسة، لقد عانت قرية كحك بحري الأمرين من ممارسات مباحث أمن الدولة، والمعروف أن هذه القرية يبلغ عدد سكانها ٥٠ ألف نسمة وتتبعها ١٠ عزب صغيرة وقرى.

وقد التقينا مع المفرج عنه أحمد سليم كحك، وشقيقه علي سليم كحك ليرويا ما حدث:

أنتمي لجماعة الجهاد السلفي وكنت أمير جماعة كحك قبلي والتي تنتهج منهجًا سلفيًّا وسطيًّا وعمري ٤٩ عامًا من قرية كحك التابعة لمركز إبشواي بالفيوم اعتقلت في ٤ مارس ١٩٩٢ على ضوء مقتل المقدم أحمد علاء الدين مفتش مباحث أمن الدولة بالفيوم.

وكان المقدم أحمد علاء مشهورًا عنه أخذ النساء والشباب وتعذيبهم، وعذب زوجتي وزوجة أخي علي وزوجة أخي محمد الذي توفي في سجن ليمان طرة في مايو ١٩٩٦م.

وحكم على أهل قرية كحك بالتعذيب لقتلهم المقدم أحمد علاء الذي كان يقوم بتعذيب النساء وبعضهم عولجوا بمستشفى الخانكة لحدوث فقدان الوعي وتهديدهن بالاغتصاب بالإضافة لتجريدهن من ملابسهن.

وأضاف أحمد كحك: إنني كنت رافضًا لقتل المقدم علاء حتى لا تثور علينا الداخلية وتم حرق المنزل الخاص بنا المكون من ثلاثة أدوار وكان والدي وزوجتي

وأخـواتي محتجزين بحجرة واحـدة في الدور الأرضي وأصيب والـدي بجلطة من جراء ما حدث.

وكان نتيجـة مقتل المقدم أحمـد علاء أن هدموا منازل كحك بحري وحرقوا منازل كحك قبلي.

وكان هنـاك قـرار اتهام لـ ٩ أفراد وهم مـرسي محمد رمضان - محمـد محمود عبد المنعم - خليفة محمود رمضان منفذو القتل. نور محمود رمضان - أحمد سليم علي كحك « قائـد وأمـير ومفتـي التنظيـم » - محمد سـليم علي كحـك - رجب محمـد إبراهيم عبد الرزاق - خالد محمود السـيد خالد - إبراهيم عبد التواب مرسي. احتجزت في السـجن قرابـة ٢٠ عامًا واعتقل أخي ٤ سـنوات وأخي الأصغر ٢٥ عامًا ولكن قتل في السـجن. ورفـض المستشـار أحمد العشـماوي دفاع المحامين عنـا وكان من ضمن هـؤلاء المحامين منتصر الزيات.

وتـم احتجازي بعنبر الموت بسـجن ليمان طرة وهذا العنـبر لا يوجد به أي متنفس للهـواء ولا إنـارة ولا مياه وتم تجريدنا من ملابسـنا داخل السـجون وكانـوا يفعلون بنا ماطاب لهم ومنعنا من الزيارة من شـهر سـبتمبر ١٩٩٣ حتـى ١٩٩٦ نهائيًّا وذلك حتى مقتل شـقيقي محمد وأضاف أحمد كحك أنه حتى الحوالات المالية التي كانت ترسـل لنا منعنا منها وحتى الفسحة لم تمنح لنا.

جلست في سجن ليمان طرة عامًا واحدًا وبعدها تم ترحيلي لسجن المزرعة وطلب مني رشوة للانتقال لهذا السجن.

أقدم سجين سياسي يمثل أمام المحكمة للإدلاء بشهادته في وقائع تعذيب:

مثل محمد محمود صالح، الشهير بالأسواني، أقدم السجناء السياسيين، أمام محكمة جنايات السيدة زينب، للإدلاء بشهادته اليوم في واقعة تعذيب النزيل السياسي محمد سليم كحك، ما تسبب في وفاته تسعينيات القرن الماضي.

كما أدلى صديق المجني عليه محمد وديع سلام ليدلي بشهادته في الواقعة المذكورة حيث أنهم كانوا شهود على تعذيب وقتل «كحك» في سجن ليمان طرة.

ويذكر أن عمليات تعذيب محمد سليم كحك قد بدأت في أواخر عام ١٩٩٤م باستنزاف المذكور وإجباره على الاعترافات بالمشاركة في قتل ضابط أمن الدولة بالفيوم الرائد أحمد علاء وقامت جرافات من الداخلية بهدم المنزل على أسرته في قرية كحك بحري في محافظة الفيوم.

وقامت القوة الأمنية باصطحابه إلى مقراتها بالفيوم ومنها إلى سجن العقرب شديد الحراسة وتعرض هناك للضرب والتعذيب المبرح، فارق على إثرها الحياة بمستشفى ليمان طرة عام ١٩٩٥م.

وهناك شاهده محمد الأسواني أقدم السجناء السياسيين حيث كان يقضي عقوبة المؤبد في قضية اغتيال السادات، والشاهد الثاني محمد وديع حيث كان يعالج في ليمان طرة بقسم العناية المركزة.

وصرح أحمد سليم كحك شقيق المجني عليه لشبكة الإعلام العربية «محيط» بأنه أحد شهود الواقعة أيضًا، فقد رأيت شقيقي ينزف أمامي لعدة أيام دون أن يسعفه أحد، ولما شارف على الموت نقل إلى مستشفى ليمان طرة، وجاءني خبر وفاته بعد ما يقرب من

الشهر ومن ساعتها وأنا أحاول أن أعرف تفصيلات الواقعة إلى أن قابلني «الأسواني» و«وديع» بعد الثورة وعرفت منهم تفصيلات الوفاة.

يذكر أن شبكة الإعلام العربية «محيط» تبنت حالة السجين السياسي محمد الأسواني وأحمد سليم كحك أحد أعيان قرية كحك بمحافظة الفيوم.

(شبكة المعلومات العربية محيط بتاريخ٨/٥/٢٠١٢)

obeikandi.com

ترهيب زوجات المعتقلين

تقول د. سميرة محمد أحمد:

حينما أخذوا زوجي الدكتور عصام حشيش قال «أستودعكم الله» فقلنا له «نستودعك الله» أيضًا، وهكذا أصبحنا في كنف الله جميعًا ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [الزمر:٣٦].

كنتُ أردِّد هذه الآية للأولاد حينما توعَّدَنا أحدُهم بالرجوع مرةً أخرى بعد اقتياد زوجي معهم وإصرارهم على أخذ مفتاح الشقة وتهديد زوجي بأنه سوف يعود مرةً أخرى.

لكن لم يخطر ببالي أنه سوف يُنفذ هذا التهديد؛ كنتُ رغم ما حدث من اعتقالٍ ظالمٍ لزوجي وأمرٍ مجحفٍ بعدم التصرف في أموالنا التي ما جمعناها إلا من كدٍّ ومن تعب؛ فلم نتاجر في الفياجرا ولم نتاجر في المخدرات ولم نتاجر في أرواح البشر ولم نتاجر بصحةِ الناس؛ كنت رغم كل هذا أظن أنه ربما توجد خطوط حمراء لكرامة الإنسان؛ ولكني صدمتُ لما حدث معي يوم الإثنين ١٣/ ٣/ ٢٠٠٧م، الساعة التاسعة مساءً فقد كان يفوق كل ما حدث لنا من قبل من إرهاب.

حينما طرقوا عليَّ الباب وأنا بمفردي في الشقة زاعمين أني أخبِّئُ أحدًا عندي بالمنزل ذكرتُ لهم أني بمفردي في الشقة وليس معي أحدٌ من أولادي، ولا أستطيع أن أفتح لهم الباب إلا في وجود أحد من أولادي، وطلبت منهم أن يمهلوني للاتصال بأحد أبنائي ليحضرَ، ولكنهم رغم ذلك استمروا في الطرق على باب المنزل بعنفٍ شديدٍ وتهديدي بكسْر باب الشقة، حتى حينما قلتُ لهم إني سوف أرسل للصحافة لترى ما تفعلونه بالنساء بعد أخْذ أزواجهن قالوا: «إنتِ عارفة إن إحنا مش بيفرق معانا صحافة».

وحينما طلبتُ منهم إذن التفتيش قالوا: «إحنا مش بتوع أذون، وإنتِ تعلمي هذا فدائمًا نأتي دون إذن».. بالطبع ودون خوفٍ من المساءلة من أحدٍ لأنَّ هذه أشياء ليست في قاموسهم.

كلما أتذكر محاصرتهم لي وأنا امرأةٌ مسنةٌ (أبلغ من العمر ٥٥ عامًا) في بيتي وتهديدهم لي بكسر باب منزلي أشعر بأنني في ذلك اليوم لم أكن في بلدي التي أُحبها وما زلتُ أحبها وسوف أظل أحبها مهما فعلوا بنا، بل شعرتُ لحظتها أنني في العراق وأنَّ المحاصرين لي هم أمريكان يقتحمون بيتًا أعزلَ كما نرى في نشرات الأخبار أو حتى في فلسطين حينما تحاصر البيوت بجنود الاحتلال.

إحساس فظيع أن تشعر بعدم الأمان في بلدك وفي بيتك، مرَّ بي سريعًا، ثم تلته رحمات الله وسكينته عليَّ وتذكرتُ كلمات زوجي «أستودعكم الله» فاستشعرت معية الله معي.

كنتُ أعلم معية الله علم اليقين فأصبحتُ أراها عين اليقين تبدَّل خوفي أمنًا واضطرابي ثباتًا وأحسستُ بالاطمئنان لحفظ الله لي، وبعد أن كنت أخشى من فتح الباب وبعد نصف ساعة من الترويع لي من الخارج وإصراري على عدم فتح باب المنزل إلا بوجود أبنائي وإظهار إذن التفتيش الذي لم يكن معهم ولم يظهروه لي اضطررتُ أخيرًا أن أفتح باب المنزل وحفظني الله.

ولكن تساؤلات كثيرة تتوارد على خاطري:

- لماذا كل هذا العداء لنا ونحن لا نحمل لهم عداءً؟؟
- أين حقوق المواطنة التي تغيَّرت من أجلها مواد عديدة في الدستور؟؟
- أين المجلس القومي للمرأة الذي يدعي أنه ينادي بحقوق المرأة المهدرة؟؟

- ألم تُهدر حقوقي حينما أخذوا زوجي دون جريرةٍ أو ذنبٍ سوى أنه يريد الخيرَ لبلدِهِ؟؟

- ألم تُهدر حقوقي حينما اقتحموا بيتي وفتشوا في كل شيء حتى حجرة نومي فلم يعد لي خصوصية؟؟

- ألم تُهدر حقوقي من قبل حينما صدر حكمٌ بعدم التصرف في أموالي دون إعطاء أي فرصة لي أو للمحامي للدفاع عن حقي؟

- ألم تهدر حقوقي وحقوق أولادي حينما ارتفع ضغطي بعد هذه الواقعة وأثَّر صحيًّا عليَّ وعلى أولادي حتى اضطررتُ أن أُعطي أحدهم مهدئًا!!.

- أين منظمات حقوق المرأة مما فعل فيَّ من تهديدٍ باقتحام المنزل دون حتى أن ينتظروا أن يحضر بعض أبنائي ليقف معي؟

أخيرًا لقد شعرتُ هذه المرة بأنهم يقصدوننا نحن الزوجات والأبناء بهذه التصرفات للضغط علينا والتضييق حتى نكون أداةً للضغط على أزواجنا، ولكني أقولها.. فوالله الذي لا إله غيره لن يفلحوا في هذا، فمن خالط النقاء والطهر وعاشره لا يرضى به بديلًا ولا يمكن يومًا أن يكون سوطًا للجلاد عليهم.

وهذه التصرفات لن تزيدنا- بإذن الله- إلا اعتصامًا بالله وتمسكًا بدعوتنا، ولن يضيعنا الله لأننا ننشد الخير لأمتنا وأهلينا.. ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

المصدر: (من كتاب الأخوان المسلمون في سجون ومعتقلات مبارك ص ١٣٤)

التصفية الجسدية لقيادات الجماعة الإسلامية في عهد زكي بدر

التعذيب في معتقلات أمن الدولة ملف سيظل لعدة سنوات قادمة بل للعشرات من السنوات القادمة وفي كل يوم سوف نكتشف المزيد والمزيد من جرائم هذا الجهاز في حق المواطنين الذين اعتقلهم بعد أن اتخذهم أعداء للنظام السابق الفاسد والكل يعرف أن أكثر المتضررين أو من اعتقلوهم أفراد الجماعات الإسلامية بأسيوط وعن هذا الامر تحدث الشيخ شعبان ابراهيم وقال إن من ابتكر التعذيب في معتقلات أمن الدولة هو الوزير السابق للداخلية زكي بدر الذي كان له سياسة خاصة وهي أن يتم الاعتداء بالضرب بشتى أنواعه على المعتقل منذ القبض عليه أمام زوجته وأولاده حتى مثوله للتحقيق وهذا حتى يتم كسر أنفه أمام أطفاله وقد قام بدر بعدة جرائم قتل لأفراد الجماعة أهمها الشيخ ماجد العطيفي الذي قتل علانية في وسط النهار بشارع الجلاء بأسيوط والشيخ عرفة درويش الذي قتل بالرصاص وهو يعتلي المنبر في ديروط وكذلك الشيخ شعبان راشد الذي قتل وهو يلصق إعلانات عن محاضرة للدكتور عمر عبد الرحمن وأسفرت حملات الاعتقالات التي كان قام بها بدر لتصل إلى ثلاثة آلاف معتقل وقد أسفر تعذيب المعتقلين عن إصابة بعضهم بالشلل في الذراعين أو الساقين أمثال المهندس طارق العطيفي والذي يمشي الآن على كرسي متحرك ومنهم من مات من شدة التعذيب مثل مصطفي بلبص وهناك من لم يتم العثور عليه حيا أو ميتا مثل أحمد حرب ويضاف إلى جرائم زكي بدر من قتلوا بسبب تفشي الأمراض وإصابتهم بالجرب وقد اعترف معظم المعتقلين عن جرائم لم يرتكبوها خوفا من التعذيب وعن طرق التعذيب قال الشيخ شعبان إن طرق التعذيب التي تعرض لها عدة أنواع مثل تعليق السلخانة تمامًا كالذبائح والشواية كالفرخة المعلقة في أسياخ الشواية وتكسير العظام بالذراعين أو

الساقين أو الضلوع بالإضافة للصعق الكهربائي عن طريق الجهاز والتي تبدأ من واحد فولت حتى ٢٥٠ وقد تعرض العشرات للموت من هذا النوع من التعذيب ويضاف إلى ما سبق الضرب على الرأس بخشبة بها مسامير وقد مات أيضًا الكثيرون أمام عيني ومنهم من يعاني الآن من أمراض نفسية بسبب هذا النوع وأسيوط بها المئات من المصابين بهذا النوع والغريب أن بعض الدول العربية كانت تنتدب ضباط أمن الدولة لتدريب ضباطهم على تعذيب المواطنين حفاظًا على كراسيهم.

(المصدر: جريدة الأنباء الدولية ٣ ديسمبر ٢٠١٢)

obeikandi.com

نصر السيد يحكي رحلة الصعق والتعرية وتهديده بزوجته وبناته في سلخانات أمن الدولة

نصر السيد حسن نصر أحد قيادات الإخوان المسلمين بمحافظة القليوبية، من مواليد قرية الرملة بمركز بنها محافظة القليوبية في الأول من فبراير عام ١٩٥٨م، تخرج في كلية الزراعة جامعة الزقازيق عام ١٩٨٠م، ويعمل مفتش أول بتموين بندر بنها، متزوج وله ٥ من الأبناء؛ الكبرى فاطمة متزوجة ولديها طفلان، وحاصلة على إجازة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حفظ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم ثم أحمد حاصل على ليسانس شريعة إسلامية ويحفظ القرآن كاملًا، وفي طريقه أيضًا للحصول على الإجازة، ثم إبراهيم طالب بكلية أصول الدين قسم الحديث، ويحفظ القرآن كاملًا وفي طريقه للحصول على الإجازة، ثم أسماء حصلت على المركز الأول على معهدها في الصف الأول الثانوي بالمعهد الأزهري، وأخيرًا سارة الأولى أيضًا على معهدها في الصف الثاني الإعدادي.

دهمت قوات الأمن بمحافظة القليوبية منزل نصر السيد؛ والذي لم يكن موجودًا به، وقامت بتفتيش المنزل للبحث عنه، وطلبوا من أسرته أن يُخطروه بالذهاب إلى مقرِّ أمن الدولة ببنها، وفور ذهابه تمَّ احتجازه بدون أي سند قانوني، ولم يعلم أحدٌ مكان احتجازه حتى خروجه منتصف الأسبوع الماضي.

(إخوان أون لاين) التقى نصر السيد لمعرفة حكاية اختفائه في سجون وزارة الداخلية.. وإلى التفاصيل:

هل هذه المرة هي الأولى التي يتم فيها اعتقالك أم سبق اعتقالك قبل ذلك؟

لقد اعتُقلت مرتين قبل ذلك، المرة الأولى كانت سنة ١٩٩٥م، وتم احتجازنا في سجن الأبعدية بدمنهور، وهو من السجون شديدة السوء، فهو مكون من طابقين

أحدهما فوق الأرض والآخر تحت الأرض، واستقبلونا فيه بحفل استقبال عبارة عن ضرب وتلطيش وخلع الملابس، والبقاء بالملابس الداخلية، وحلق الشعر، وكنا ٢٦ فردًا في زنزانة ضيقة لا يوجد بها أي مقومات للحياة سوى بطانية واحدة نفترش نصفها ونتغطى بالآخر، ومكثت فيه شهرًا كاملًا، والمرة الثانية كانت سنة ٢٠٠٠م؛ حيث اقتحمت قوات الأمن بيتي قُبَيْل الفجر، وظللت معتقلًا ٣ أشهر في سجن مزرعة طرة في زنزانة كبيرة ٢٥م طول في ٥م عرض بها حمام أو اثنان.

وكانت الزنزانة تُغلق علينا ٢٤ ساعة وتُفتح لنا ساعة واحدة للتريض، وفي عام ٢٠٠٥م دهمت قوات الأمن منزلي ولم أكن متواجدًا فيه وقتها.

مررت بـ٣ تجارب اعتقال في ١٩٩٥، ٢٠٠٠، ٢٠١٠م، ما هي أشد تجربة مررت بها، من هذه التجارب الثلاث؟

هذه المرة كانت أسوأ مرة اعتقلت فيها.

صف لنا ما حدث أثناء اعتقالك المرة الأخيرة؟

كنت خارج البيت وفوجئت باتصال من أولادي يخبرونني بأن الأمن اقتحم البيت، للبحث عني، ولم يجدوا شيئًا يأخذونه سوى جهاز الكمبيوتر الخاص بالأولاد فأخذوه وقلبوا البيت رأسًا على عقب وعاثوا فيه تفتيشًا وفسادًا، وبعد ٤ أيام أرسلوا لي أحد مخبري أمن الدولة الذي قال لي: «تعالى كلم عمر بيه»، وذهبت في اليوم التالي لمقر جهاز أمن الدولة ببنها، وقد سألني الضابط هل أنت من الإخوان المسلمين؟، فقلت نعم فالإخوان جماعة مهمتها الحفاظ على بلدها والارتقاء بها تقربًا إلى الله عَزَّوَجَلَّ. وبعد حديث طويل مع الضابط قال لي: «إنت هتقعد معانا شوية»، ثم نادى على المخبر الذي أخذني إلى الحجز.

هل تم إجراء أي تحقيقات معك في جهاز أمن الدولة ببنها؟

لا لم يكن هناك أي تحقيقات، ولكن كان الاحتجاز فقط لمدة يومين كاملين في زنزانة مظلمة بدون حمام مساحتها ٢م في ٣م على الأرض، كلما أردت الوضوء وضعوا عصابة على عيني وأخرجوني للوضوء، وتركوني بلا طعام فكنت أرسل العساكر يحضرون لي الطعام من الخارج على حسابي.

وماذا حدث بعدها؟

في عصر اليوم الثالث نقلوني إلى سيارة مصفحة وبحراسة خاصة، بعد أن عصبوا عينيَّ ووضعوا «الكلابش» في يدي ثم نقلوني إلى مقر أمن الدولة بشبرا الخيمة الذي مكثت فيه يومين أيضًا في زنزانة انفرادية شديدة السوء، وبعدها أخذوني إلى مكان مجهول عرفت بعدها أنه مقر أمن الدولة بمدينة نصر، وبمجرد دخولي المكان فوجئت بحفل استقبال عبارة عن شتائم يخجل الإنسان عن سماعها وسب للأم وقدح في شخصي واتهامي باتهامات متعددة وجردوني من ملابسي حتى أصبحت كما ولدتني أمي ثم أمروني بإعادة لبسها ثانية ووضعوا في يدي «الكلابش» وأحكموا العصابة على عيني وقالوا لي: «من الآن أنت رقم ٢ انس اسمك»، ثم أخبروني بتعليماتهم التي سأتعامل بها معهم خلال فترة وجودي لديهم، وبعدها نادوا على أحد العساكر وقالوا «أحضر لرقم ٢ بطانية» (قمل زيادة) وعلى الفور تم إحضارها وخصصوا لي مساحة ٦٠سم في ١،٥م أفرش فيها البطانية وأنام عليها، مع استمرار تقييدي بالكلابشات ليلًا ونهارًا.

ما هي التعليمات التي أمروك بالالتزام بها طوال فترة الحجز لديهم؟

ألا أتكلم ولا أنزع العصابة من على عينيّ، وإذا نودي على برقمي أرفع يدي فقط وأنفذ ما يقولون دون تعليق أو استفسار، بالإضافة إلى خلع الحذاء طوال فترة الحجز

وكان دخول الحمام بمواعيد هي فجرًا وقبل صلاة الظهر وقبل صلاة المغرب ولمدة دقيقتين فقط وعدم رفع العصابة حتى في الحمام.

وماذا دار معك في التحقيقات؟

لم يتم معي أي تحقيقات لمدة ٧ أيام وتحديدًا في الفترة من ٤/ ١ إلى ٤/ ٧ كان التعامل بيننا وبين أمناء الشرطة الذين يمارسون التعذيب ضدنا سواء بالصفع بالأيدي أو بالحذاء على الوجه والوقوف لمدة ٤٠ ساعة متواصلة.

هل كان يوجد أحد غيرك؟

نعم، كنا نسمع النداء بالأرقام من ١ حتى ٨٩ وكنا نسمع صرخات واستغاثات المعذبين صباح مساء لا تنقطع، وكانوا من جنسيات مختلفة مثل الهند والسودان وخاصة الفلسطينيين القادمين من غزة للعلاج يتم احتجازهم للاستجواب ثم يذهبون إلى المستشفيات للعلاج من جراح الصهاينة وجراح التعذيب في مصر.

متى كان أول لقاء لك مع المحقق؟ وماذا حدث في التحقيق؟

كان أول لقاء مع الضابط المحقق بعد ٧ أيام وبدأت بحفل استقبال بالضرب والسباب والتجريد من الملابس ثم تقييد اليدين من الخلف والصعق الكهربائي في جميع أنحاء الجسد وخاصة الأماكن الحساسة قبل أن يسأل أي سؤال، ثم قال لي المحقق أنت في مكان يبعد عن سطح الأرض مسافة ٣٠م، وفوقك يقع مكتب الوزير شخصيًّا ولا يعلم أحد مكانك إلا وزير الداخلية، وأنت عندنا رقم لا اسم ولا صفة، يعني من السهل القضاء عليك والتخلص منك، وقال: «إن جماعة الإخوان «كويسة» وبنحترمها لكن مش هنسيبها توصل للي هي عايزاه، الأولى بالإخوان إنهم يرتقوا بالناس من الناحية الدينية بعيدًا عن السياسية ومزاحمة النظام في أعماله والاعتراض عليه».

تقول: إنهم مارسوا ضدك التعذيب بالضرب والصعق الكهربائي، فكم وسيلة تعذيب مورست ضدك؟ وما هي؟

لقد مارسوا ضدنا ما يزيد عن ٤٥ وسيلة تعذيب مختلفة ما بين تعذيب بدني ونفسي، وهي الضرب على الوجه والقفا باليد وبالحذاء باستمرار ولأتفه الأسباب من المخبرين والضباط بمجرد وصولنا إلى مقر مدينة نصر وطوال ٦٠ يومًا فترة الاحتجاز، التجريد من الملابس كما ولدتنا أمهاتنا، الصعق الكهربائي المتكرر في جميع أنحاء الجسد وفي الأماكن الحساسة منه، التغمية المتواصلة أثناء فترة الاحتجاز، التقييد بالكلابشات طوال فترة الحجز ولا تُفك إلا في الحمام ولمدة دقيقتين فقط، تقييد اليدين من الخلف بشدة لممارسة التعذيب بالكهرباء، ربط اليدين والرجلين بعد التجريد من الملابس وربطهم في سرير للصعق بالكهرباء، ارتداء ملابس ممزقة لا تستر العورة والصفع على الوجه وتلقي الشتائم عند طلب تغييرها، النوم على بطاطين يملأها القمل والحشرات والأتربة، الإضاءة الشديدة المسلطة علينا ليلًا ونهارًا للتأثير على الأعصاب، الوقوف على القدمين لمدة ٤٠ ساعة متواصلة، وتتكرر مرتين أو ثلاثة أسبوعيًّا وتكون إحداها ونحن مجردون من الملابس (بالشورت فقط)، وتحديد مواعيد محددة لدخول الحمام ولمدة دقيقتين فقط والضرب والشتائم إذا طلبت أكثر من ذلك، الشرب من صنبور الحمام الذي نملأ منه زجاجة تكون معنا، النوم ما يقرب من ٢٣ ساعة في اليوم على شق واحد والساعة الباقية للأكل والشرب والحمام والصلاة أثناء غياب المحقق، عدم التمكن من أداء الصلوات في جماعة وليس هناك صلاة للجمعة طوال الفترة رغم وجود ما يقرب من ٩٠ محتجزًا، سب الأم وعدم تقدير الإنسان مهما كان سنه أو مرضه، المنع من الكلام، وغياب الوقت وعدم معرفة التاريخ ولا الساعة ولا الليل ولا النهار، الإفطار والعشاء لا يتعدى ملعقة جبنة أو فول أو حلاوة، الإصرار على عدم لبس الملابس الداخلية تحت بدلة الحجز، التهديد الدائم بالاعتداء الجنسي، عدم الاستحمام إلا بعد الشكوى من الهرش والجرب

ولمدة دقيقتين وبدون صابون، عدم التمكن من حلاقة وتهذيب الشعر والشارب، التهديد بالنفخ والتعذيب بالدنجلة والخابور، الجلوس على الأرض أثناء التحقيق عاريًا تمامًا، خلع الحذاء طوال فترة الاحتجاز، الاستهزاء والسخرية الدائمة من الضحية ومن شكله وعمله واتهامه بالجرائم المختلفة كالسرقة وخلافه، النوم أمام حمامات وزنازين رائحتها كريهة، النوم في مساحة لا تزيد عن ٦٠ سم في ١،٥ م وسط الحشرات الزاحفة وأنات وصرخات المعذبين، الغلظة والشدة من المخبرين أثناء الطلب للتحقيق والإمساك بنا من خلف الرقبة وخفضها لأسفل إمعانًا في الإذلال، نداء المحقق بنفسه وبصوت جهوري على ضحيته مستهزءًا بها ومتوعدًا إياها لإلقاء الرعب في نفوس الجميع، إرهاب المحقق لضحاياه من خلال تغيير شدة إضاءة غرفة التحقيق وتغيير مكانه في كل جلسة تحقيق، التهديد بإحضار الزوجة والبنات وتجريدهن من ملابسهن ووضعهن على سرير التعذيب وهتك أعراضهن وتعذيبهن أمامي وتعذيبي أمامهن، تصوير ضحية تعذيبهم عاريًا تمامًا وتهديده بتركيب صورته في أوضاع مخلة مع الساقطات ونشرها على المواقع الإباحية، الألم النفسي الشديد من سماع صوت أنات وصرخات واستغاثات المعذبين طوال الـ٢٤ ساعة خلال الـ٦٠ يومًا التي قضيتها هناك ولم نسمع صوت الأذان ولو مرة واحدة لبعد الأرض بـ٣٠ مترًا، ومصادرة المصاحف التي معنا ولم نستطع قراءة آية واحدة طوال فترة الحجز، كما أنهم كانوا يطئون وجوهنا بأحذيتهم ونحن نائمون على الأرض ويضغطون عليها بشدة، بالإضافة إلى الخنق باليد بشدة لدرجة لا تستطيع معها التنفس، وتغيير المكان الذي أنام فيه كل يومين حتى لا أستطيع أن أعرف من بجواري ولا آلف المكان الذي أنام فيه.

هل هناك آثار للتعذيب في جسدك؟

نعم هناك آثار كثيرة جدًّا للتعذيب وللحروق الناتجة من الصعق الكهربائي في أماكن مختلفة من جسدي، خاصةً الصدر وتحت الإبط، وفي العانة والكتف الأيسر من الظهر، وأسفل الشفة السفلى، وفي الفخذ الأيسر، وفي الأماكن الحساسة من الجسم، وكانت كبيرة وواضحة، ولكن العلاج داخل الحجز واستخدام المطهرات والدهانات المختلفة والمضادات الحيوية أخفى معالم الكثير من الأماكن الأخرى؛ حيث كانوا يأتون بطبيب داخل الحجز في الإدارة المركزية لجهاز أمن الدولة لعلاجنا؛ من أجل إخفاء آثار جريمة التعذيب من أجسادنا.

وماذا فعلت حتى يحدث معك كل هذا؟

لم تكن هناك تهم يتم التحقيق فيها ولكنهم كانوا يريدون أن يجبروني على الاعتراف بتهم وجرائم ليس لها أي وجود في الواقع، وإنما هي من نسج خيالهم.

وما هي هذه التهم؟

كانوا يريدون أن يجبروني على الاعتراف بأن الإخوان في مصر يرسلون السلاح إلى غزة وأنني أنا المكلف بتوصيله من قبلهم، وأن الإخوان كان بينهم اتفاق مع حماس لتفجير المعبر، وأن لي اتصال بتنظيم القاعدة، وأننا نجمع أموالًا نستخدمها لمساعدة ومناصرة منظمات إرهابية خارجية مثل حماس، وأننا نجمع الأموال من الناس لتقوية جماعة محظورة ضد النظام، وأن أموال الجماعة تنمى اقتصاديًّا داخل مصر وتستثمر في مجال الإسكان، وأن هناك تعاونًا بين الإخوان والمسيحيين في مصر ليكونوا تكتلًا ضد النظام.

وهذه هي كل التهم التي سألوك عنها؟

نعم كما سألني الضابط الذي كان يحقق معي عن أسماء مرشحي الإخوان المسلمين في انتخابات التجديد النصفي لمجلس الشورى الماضية، وطلب حصرًا بممتلكات

إخوان القليوبية داخل المحافظة وخارجها، بالإضافة إلى أنه طلب مني الهيكل التنظيمي لإخوان القليوبية.

وماذا كان ردك على هذه الاتهامات؟

كنت أرفض الكلام وعندما يشتد التعذيب كنت أستقى منه الاتهامات وأصححها له، فمثلًا موضوع السلاح قلت: إنه ليس من أخلاق الإخوان حمل السلاح، ومن السذاجة أن نعمل على اضطراب بلدنا من أجل مساعدة الآخرين، كما أن التعامل مع السلاح ليس من أيديولوجيات الإخوان في هذه المرحلة.

كم مرة تم التحقيق معك؟

تم استجوابي أكثر من ٥٠ مرة بمعدل ٣ جلسات يوميًّا.

من وجهة نظرك ما الهدف الحقيقي من وراء هذه الاتهامات التي أرادوا إجبارك على الاعتراف بها؟

أرى أن النظام يريد تكوين قائمة جديدة من الاتهامات؛ ليرتكز عليها في حربه للإخوان ويوزعها على من يتم القبض عليه من الإخوان في وقت احتياجه إلى ذلك؛ خاصة مع اقتراب انتخابات مجلس الشعب القادمة، كما أن النظام لا يريد من الإخوان أن يشاركوا في مساعدة غزة ومساعدة المنكوبين في مصر في كافة المجالات، والهدف الرئيسي هو إضعاف الإسلام على جميع الأصعدة؛ لتمكين أعداء الأمة من نهب خيراتها والسيطرة عليها.

مساعدات إنسانية:

لماذا اتهموك بمساعدة حماس؟

بمجرد علمنا بفتح المعبر تحركنا من خلال لجنة الإغاثة الإنسانية بنقابة الأطباء ومن خلال النائب محسن راضي «عضو مجلس الشعب عن دائرة بنها»، التي أنتمي إليها

وقمنا بتوصيل عدة شاحنات محملة بالطعام والمواد الغذائية كمساعدات إنسانية إلى شعب مسلم محاصر في قطاع غزة، وهذا أقل ما يقوم به المسلم تجاه أخيه المسلم.

من وجهة نظرك ما الهدف من الزج باسم حماس في الاتهامات؟

الهدف هو إرضاء الصهاينة والأمريكان، الذين يستقوي بهم النظام على شعبه ويرى فيهم ضمان بقائه في السلطة بعدما فقد الشعب الثقة فيه، فضلًا عن أن تقويض حماس والقضاء عليها يصب في مصلحة النظام المصري الذي يرى في حكومة حماس التي اختارها الشعب الفلسطيني كله في الضفة الغربية وقطاع غزة في انتخابات نزيهة شهد بها العالم كله خطرًا يهدد أمنه، من خلال انتقال تجربة حماس الديمقراطية إلى مصر.

لماذا يستخدم النظام ورقة مساعدة الشعب الفلسطيني للضغط على الإخوان المسلمين في مصر؟

لأنه يعلم جيدًا أن القضية الفلسطينية قضية محورية بالنسبة للإخوان المسلمين، وتحرير الأراضي المقدسة أصل من الأصول التي يعمل الإخوان المسلمين على تحقيقها، وهذا الأمر ضد رغبة الكيان الصهيوني وأمريكا حلفاء النظام المصري الحريص دائمًا على إرضائهم، وبالرغم من ذلك يتحمل الإخوان كل ما يلاقونه من عنت وكره وبغض واضطهاد من النظام حسبة لله عَزَّوَجَلَّ.

أبناؤك حصلوا على المراكز الأولى في مراحلهم التعليمية رغم أن فترة الامتحانات كانت أثناء غيابك عنهم وعدم معرفة أحد بمكانك.. كيف ذلك؟

أولًا، بتكرار الأمر معي أصبح الاعتقال عاديًا، ولكن الاختفاء القسري وعدم معرفتهم بمكاني سبب لهم ألمًا شديدًا، ولكن معرفتهم بأن هذا الأمر في سبيل الله، وهم أيضًا يعملون في هذا المجال، بالإضافة إلى علمهم بأنهم لا بد أن يكونوا حريصين على

التفوق مهما كانت الظروف ولقناعتهم بأن المسلم لا بد أن يكون كذلك مهما أحاطت به الابتلاءات، فكان ذلك دافعًا لحرصهم وإصرارهم على التفوق.

هل ستقاضي من عذبوك؟

نعم، لن أترك أي وسيلة قانونية لملاحقة هؤلاء الظالمين إلا وطرقتها، ليس من أجلي فقط ولكن من أجل الكثيرين الذين عذبوا وأُوذوا من قبل بغير ذنب، وحتى يكون هناك رادع لهم يردعهم إذا فكروا في تكرار هذه الجريمة مع أحد بعد ذلك.

لا شك أنك مررت بمواقف مؤثرة خلال هذه المحنة.. ما هي أكثر المواقف التي أثرت فيك؟

تأثرت بعدة مواقف وأنا في حجز مقر مدينة نصر، منها أن أحد الشباب نطق بالكفر أمام معذبيه ليكفوا عن تعذيبه وقال لهم: "أنا مش مسلم أنا يهودي"، وآخر قال لهم لن أصلي ثانية، وترك الصلاة ليثبت لهم أنه كفر على أيديهم ليتركوه نتيجة التعذيب، ومن المواقف المؤثرة في النفس أيضًا أنهم أحضروا شابًا يهوديًّا وأوقفوه بجواري وبمجرد أن أخبرهم بأنه يهودي صهيوني وتحققوا من ذلك أفرجوا عنه ولم يمر عليه ١٠ دقائق، ليعلم الناس كيفية معاملتهم لليهود ومعاملتهم للمسلمين.

في وسط الأحزان والأنات والصرخات ألم يكن هناك موقف طريف ليخرجكم ولو للحظات من عالم الحزن والتعذيب الذي تعيشون فيه؟

نعم، كان هناك موقف طريف سمعت به في الداخل؛ حيث كان هناك أحد الإخوة السودانيين اسمه عثمان كانوا يضربونه ويعذبونه ويقولون له «حلايب وشلاتين مصرية ولا سودانية؟»، فقال: سودانية، فشدوا عليه في التعذيب ثم أعادوا السؤال ثانية وقالوا له «حلايب وشلاتين مصرية ولا سودانية؟» فقال لهم: الخرطوم مصرية، وبعد التعذيب

جلس بجوار أحد زملائه السودانيين فقال له: «هتروح منهم فين يا عثمان دول سجنوا سيدنا يوسف يا عثمان».

أخيرًا هل من كلمة تريد توجيهها للصف الإخواني؟

أريد أن أوصي إخواني أن يكون لديهم قناعة كاملة بأن الطريق إلى الجنة محفوف بالمكاره، وحدوث المحن هي للإخوان وجميع العاملين للإسلام بمثابة بشريات على الطريق الموصل لانتصار الإسلام في الدنيا وللفوز بالفردوس الأعلى في الآخرة، وأقول لهم إن هذا الطريق سلكه قبلنا ١٢٠ ألف نبي و٣١٣ رسول كلهم عانوا من المحن والابتلاءات وأذى الآخرين وسيظل هذا الأمر سجالًا بين الحق والباطل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها والعاقبة للصابرين الشاكرين، وهنيئًا للعاملين للإسلام باصطفاء الله لهم ليسيروا في طريقه رافعين الراية دون غيرهم.

لا شك أنك مررت بمواقف مؤثرة خلال هذه المحنة.. ما هي أكثر المواقف التي أثرت فيك؟

تأثرت بعدة مواقف وأنا في حجز مقر مدينة نصر، منها أن أحد الشباب نطق بالكفر أمام معذبيه ليكفوا عن تعذيبه وقال لهم: "أنا مش مسلم أنا يهودي"، وآخر قال لهم لن أصلي ثانية، وترك الصلاة ليثبت لهم أنه كفر على أيديهم ليتركوه نتيجة التعذيب، ومن المواقف المؤثرة في النفس أيضًا أنهم أحضروا شابًا يهوديًّا وأوقفوه بجواري وبمجرد أن أخبرهم بأنه يهودي صهيوني وتحققوا من ذلك أفرجوا عنه ولم يمر عليه ١٠ دقائق، ليعلم الناس كيفية معاملتهم لليهود ومعاملتهم للمسلمين.

(المصدر: إخوان اون لاين- المرصد الإعلامي الإسلامي - المرصد الإسلامي لمكافحة التضليل الإعلامي)

ضحايا معتقلات مبارك في زنزانة الذكريات

عندما يتوقف الزمن.. عندما تنتهي لحظات عمرك وتبدأ في اعداد العدة لتكون ضمن الاموات.. هنا تتذكر مقولة «الداخل مفقود والخارج مولود».. فمهما كتبت اقلام المؤلفين والروائيين لتصوير ماذا يحدث بالداخل فلن يدركوا إلا واحدًا على عشرة مما يحدث.. فما أصعبها من لحظة.

اللحظة التي تفصلك عن عالم تعيش فيه بحريتك وكرامتك وادميتك وتنقلك إلى عالم آخر تتخلى فيه عن كل هذا لدرجة تجعلك تحاول الانتحار، ولكن حتى الانتحار لا تستطيع أن تقدم عليه.. لأنه خارج عن إرادتك!!

لحظة الدخول إلى مبنى أمن الدولة.. فالدخول إلى القبر قد يكون أهون.. ولكن في أمن الدولة ستتعرض لأبشع أنواع التعذيب وامتهان الكرامة وانتهاك حقوق الإنسان دون أن يكون لك ولو تهمة واحدة.

حقًا لقد أسقطت ثورة يناير جهاز أمن الدولة.. ولكنها لم تسقط الذكريات المؤلمة التي لا تزال عالقة في ذهن وعقل وقلب كل من زار هذا الجهاز اللاأخلاقي.. ذكريات لايزال يسترجعها اصحابها ولن ينسوها من شدة بشاعتها وجرمها..ذكريات تبدا من لحظة المداهمات الليلية للمنزل ثم غرفة الاعتراف بأمن الدولة انتهاء بزنزانة الحجز الذي يتم القاؤك به..

«الأخبار».. استرجعت شريط الذكريات لأربعة زوار هذا الجهاز.. وانتقلت مع اثنين منهم إلى مبنى جهاز أمن الدولة المطل على الكورنيش بمنطقة الساحل لتمثيل وقائع التعذيب بالكلمة والصورة..

«اللهم لا تميت من ظلمني إلا عندما يتساقط عظمه من جسده».. دعاء لا يتوقف فتحي فؤاد توفيق عن ترديده صباحًا ومساءً.. قاصدًا به كل من تسبب في قضاء احلى ١١ عامًا من عمره خلف القضبان بدون وجه حق..فتحي احتضنه المعتقل عندما كان يبلغ من العمر ٢٢ عامًا وخرج منه في الثالثة والثلاثين.. ذاق خلال هذه المدة كل أنواع التعذيب والضرب والاهانة لدرجة إنه كاد أن يفقد عقله في يوم من الأيام من شدة العذاب الواقع عليه عندما جلس وحيدا في زنزانته يتحدث إلى كيس سكر ليشكو له همه والظلم الواقع عليه لولا أن عاد إلى ثوابه واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم وتوجه للمولى بدعاء سيدنا محمد اللهم إني أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس..

رجال غلاظ شداد منزوعوا الرحمة والشفقة داهموا بيتي فجرًا وعصبوني بغمامة سوداء وكتفوني والقوا بي في سيارة لا أعرف لونها أو نوعها حتى الآن.. هكذا يصف فتحي ليلة القبض عليه.. قائلًا: أخذوني على مبنى أمن الدولة بلاظوغلي الذي قضيت به ٩ أيام تعرضت خلالها إلى تكتيف أيدي من الخلف وطرحي أرضًا ووضعوا غمامة سوداء على عيني واتهموني بشراء أسلحة والسفر إلى أفغانستان.. ورفضت تلك الاتهامات وقلت للضابط الذي يتولى التحقيق معي: «إني أسكن بشارع الوحدة العربية بشبرا الخيمة».. ثم فوجئت بعد ذلك باتهامي بالانتماء إلى الجماعة الإسلامية.. ورديت على الضابط: «هل كل شاب ملتح وملتزم عضو في الجماعة الإسلامية!!».

بعد ذلك قاموا بترحيلي إلى سجن أبو زعبل أنا ومن معي من أشخاص كثيرين لا يعرفون مثلي لماذا تم القاء القبض عليهم..هكذا يكمل فتحي كلامه مضيفا كنت أظن أنني سيتم ترحيلي إلى سجن أبو زعبل ولكنني لم أكن أعرف أنني متوجه إلى جهنم!!..

فمع الأيام الاولى داخل هذا المعتقل الفولاذي (وضع تحت كلمة فولاذي ألف خط) اتفق رئيس مباحث السجن مع المساجين الجنائيين بالاشتباك مع المساجين السياسين وذلك بهدف إغلاق السجن ومنع الزيارات إليه وعدم إطلاع أحد على التعذيب الذي يقع بداخله وقد كان، فالمساجين نفذوا المطلوب على أكمل وجه وأعتدوا على نظرائهم السياسيين وفتكوا بهم مستخدمين كافة الاسلحة وأسفرت الاشتباكات عن مقتل ٤ أشخاص وإصابة ٩٩ شخصًا من الطرفين فيما عرفت بمعركة أبو زعبل عام ١٩٩٣. ليتحقق بالفعل بعد ذلك الغرض وهو اغلاق السجن..

تم اغلاق السجن وتم منع الأهل والأقارب من زيارة أبنائهم داخل المعتقل..تم حرمان المساجين من الرياضة والخروج إلى حوش السجن والبقاء خلف الباب الحديدي للزنزانة لمدة وصلت أكثر من ٧ أشهر.. الشمس لا ترانا ولا نراها..أصبنا بالجرب وهشاشة العظام.. كنا نضع المياه المغلية على أجسادنا حتى تقتل فيروس الجرب.. أصبحت أسناننا سائبة لينة تكاد تقع من الفم بسبب هشاشة العظام.. كان يتم تغمية أعين المعتقلين وتجريدهم من ملابسهم كما ولدتهم أمهم وتوجيه وجوههم إلى حائط الزنزانة رافعين أيديهم إلى أعلى.. ليبدأ حوار الضابط مع العسكري..فيقول الضابط ماذا تظن في أتباع محمد.. يرد العسكري اظن أنهم قد صبئوا.. فيقول الضابط: وماذا ترى أننا فاعلون بهم.. فيرد العسكري نسومهم سوء العذاب.. فيقول الضابط: ضرب.. فيبدأ العسكري في التكسير وليس الضرب!!

زنزانة التأديب:

يكف فتحي عن الكلام ويبتسم ابتسامة خفيفة يخفي وراءها بحور من الحزن والاسي والرغبة في التشفي ممن فعل فيه ذلك.. ثم يعاود الكلام.. فيقول: التعذيب المعنوي أشد من التعذيب المادي.. فالحرمان من الأهل والأصدقاء والاقارب كان

أصعب من سوط العسكري الذي يمزق جسدي.. فاسرتي مكونة من ٨ أفراد، كنت أرغب في الاطمئنان عليهم من حين إلى آخر لأنني العائل الوحيد لهم، ولكن منعوني حتى من رؤيتهم!!.. حتى الطعام كانوا يستخدمونه وسيلة للتعذيب، فهناك ضابط يدعي مصطفي جابر كان يضع الرمل في الأرز قبل أن نأكله..أما الخضراوات فكانت تأتي «مطبوخة» والديدان والقواقع الزراعية تسبح بداخلها!!.

معتقل أبو زعبل لم يكن وحده المعتقل الذي شهده فتحي..فقد تم ترحيله أيضًا إلى سجن الزقازيق والفيوم والبحيرة وعاد مرة أخرى إلى أبو زعبل.. وحسب شهادة فتحي يقول أيام عصيبة قضيتها خلف جدران سجن الزقازيق.. فالتشريفة التي استقبلت بها لم أشاهد مثلها في حياتي..في حوش السجن الذي يراه كل السكان تم تجريدي من كافة ملابسي وكشف عوراتي أمام عورات زملائي المعتقلين..ثم تغمية «عيناي» وتكتيف يدي وتمشيتي في طريق به بالوعات للصرف الصحي المفتوحة حتى سقطت في إحدى هذه البالوعات المملوءة بالمياه النجسة ويصل عمق هذه البالوعة نصف متر.. ثم وضعوني في زنزانة «التأديب» التي يصل طولها ١٤ شبرًا وعرضها ١٨٠ سم.. وفي سجن دمنهور لم يكن الوضع أفضل من الزقازيق، ففي حالة مرض أي معتقل وذهابه إلى عيادة هذا السجن يندم أشد الندم في التفكير إلى الذهاب إلى العيادة،فالدكتور أحمد حجاب المسئول عن هذه العيادة يضع علامة (X) على ظهر المريض عند خروجه من العيادة وتوقيع الكشف عليه..وهذه علامة لأمناء شرطة السجن بأن يقوموا بالواجب مع هذا المعتقل فور عودته للزنزانة..ليبدأ الأمناء في سحل هذا المريض وصعقه بالكهرباء وضربه بالخيرزان.. وبالطبع الهدف من ذلك هو تخويف المرضى من المعتقلين وجعلهم يموتون في أماكنهم بحيث يكون ذلك أفضل من الذهاب إلى العيادة!!

وعدت مرة أخرى إلى أبو زعبل.. لأبدأ في سماع ما فعله الضابط أشرف إسماعيل بزملائي في هذا المعتقل.. جعل المعتقلين يخلعون ملابسهم ويتجردون منها تمامًا.. ثم طرحهم أرضًا واحدًا فوق واحد وكأنهم في حالة شذوذ جنسي.. وكان الهدف من ذلك هو كسر نفس المعتقلين وإذلالهم.. وفي مفاجاة كشفها فتحي في نهاية حديثه انه من العشرة الاوائل علي الجمهورية في كمال الاجسام قبل دخوله إلى المعتقل.. وكان مسئولًا أثناء تأدية الخدمة العسكرية عن تدريب الجنود في وحدته بالجيش.

بالكلمة والصورة:

حكاية أخرى من حكايات التعذيب بطلها هو مرسي أو الشهير بأيمن مدرب الاطفال للكونج فو.. قضى هو الآخر ٣٠ شهرًا خلف قضبان أمن الدولة وسجون الترحيلات.. الاخبار اصطحبته إلى مبنى أمن الدولة المطل على الكورنيش بالساحل والذي تم إحراقه من قبل ثوار يناير.. أراد أن يتحدث عن الظلم الذي تعرض له داخل هذا المبنى الذي لم يكن يتخيل في يوم من الأيام إنه سيسقط.. وأن يكون حديثه مصحوبًا بالصورة والتمثيل لما حدث له داخل جنباته كي يفضح ممن تسبب في ذلك.. في مدخل المبنى وقف مرسي قائلًا.. دخلته باختياري عندما ذهبوا إلى منزلي ولم يجدوني وعند علمي فور عودتي جئت إليهم في هذا المبنى كي أعرف سبب البحث عني.. دخلت إليهم وأنا واثق أنهم يبحثون عن شخص آخر قد يكون تشابه اسمه مع اسمي.. فأنا أعيش في حالي ولا علاقة لي بأحد.. وبمجرد دخولي وضعوا غمامة على عيني وقالوا لي «قف على ركبتيك».. كان ذلك أمام غرفة الضابط نادر السيد.. وانتظرت ربع ساعة أمام مكتبه حتى دخلت إليه واتهمني بأنني أدرب كونج فو لأشخاص من الجماعات الإسلامية.. وبالطبع نفيت هذا الاتهام.. فرد الضابط وقال: «حتعترف حتعترف يابن.....»، ومع استمراري في رفض الاتهام، قال: «خدوه على غرفة الاعتراف وكتفوه وجردوه من ملابسه».. واصطحبني الأمناء إلى الغرفة بعد أن جردوني من ملابسي.. وفوجئت أن

هـذه الغرفة كاتمة للصوت حيـث أنها محاطة بأكملها بطبقة من الإسـفنج والجلد العازل للصـوت.. ثم طرحوني أرضًا وقاموا بوضع سـلك كهربي في الأصبـع الكبير من قدمي اليمني والطرف الثاني في مقدمة «العضو الذكري»!!

هنا توقف مرسي عن الكلام.. والدموع بدأت تفيض من عينيه ولكنه تماسك وعاد مـرة أخـرى للحديث.. وقـال أنه مع الضغـط الواقع عليه طلب الاعـتراف بأي شيء.. وقال للضابط «مستعد أن أعترف أنني قتلت السادات»، ولم يكف الضابط عن التعذيب بالكهرباء.. رغم ما قلته له.. وبعد ذلك أمر بسـجني في زنزانة أمن الدولة بالدور الأول وقضيت بها ٢٢ يومًا.. وأمر بعد ذلك بترحيلي إلى سـجن دمنهور.. وتم إيداعي سـيارة الترحيلات التي جابت محافظات الوجه البحري لتسـليم المعتقلين في السـجون المختلفة حتـى تـم تسـليمي لسـجن دمهنور..ثم أودعـوني لمدة يـوم في غرفة الإيـراد وهي غرفة التصوير وكتابة الأسـماء واستلام الزي الأبيض للسجن وكان يوجد في هذه الغرفة أكثر من ٥٠ شخصا وتصل مساحتها ١٥ مترًا مربعًا!!

يتابع مرسي قائلًا: قضيت ٣٠ شـهرًا بالسـجن..لا أعرف ما سبب سجني.. وكلما سـألت شـخصًا من المعتقلين: تفتكر هاخرج إمتى؟.. تكون الإجابة: اللي بيدخل يابني هنا مبيخرجش.. وكان المعتقلون بيسألوني: هما اللي برة عارفين اللي بيحصلنا؟ فأجيبهم: ولا حد عارف حاجة، الناس «ملهية» في لقمة العيش..

ويتحـدث مرسي عن التعذيب بنوع من الأسـى والحسرة قائـلًا.. كنا نتمنى الموت داخل الزنزانة من هول التعذيب وشدته ولكن الحراس كانوا يمنعوننا.. فالطعام يدخل لك مرتين.. الفطار وهو عبارة عن فول مسوس وعيش في اسمه فقط ولكنه ليس عيشًا، فالحيوانـات تأبـى أن تأكلـه.. أما الغذاء فكان عبـارة عن أرز يتم وضعـه على بلاطة من البـلاط الزنزانـة على هيئة «كـوم» من قبل عامـل التعبئـة.. وفي قلب الكوم يتـم تفريغه

ووضع الخضار به.. ثم تأكله دون أي معلقة بعد أن تخلطها على بعضها البعض.. وحدث ولا حرج أيضًا عن العذاب المادي، فالضرب والإهانة وسب الدين أحداث يومية لا تتوقف.. ناهيك عن اليوم الأغبر الذي تأتي فيه مصلحة السجون لتفتيش السجن، فهذا يوم مشهود في السجن.. الرعب والخوف يدب في كل مكان.. الكلاب البوليسية تسبق رجال المصلحة في التفتيش لتنهب في أجسام المعتقلين فضلًا عن الضرب بعصي الأمن المركزي والصعق بالكهرباء.. لدرجة أن الأجسام كانت تتشقق من كثرة التعذيب.. ويضطر المعتقل إلى النوم على الأرض من هول هذا التعذيب والدم يسيل من جسده ثم يتعرض لإغماء، وعند الإفاقة يجد نفسه غير قادر على القيام إلى أعلى لأن الدم التصق بالأرض..

يمشي على يده:

أما إبراهيم سيد إبراهيم البالغ من العمر ٤٥ عامًا فقد قضى ٩ سنوات من هذا العمر في سجون الأبعادية بالبحيرة وسجن النطرون (١) وسجن النطرون (٢) وعن سبب تهمته وإلقائه في المعتقل، قال: لا أعرف رغم خروجي من المعتقل عام ٢٠٠٧ موضحًا أنه في بادئ الأمر زار هو الآخر مبنى أمن الدولة بالساحل قبل أن يتعرض للاعتقال.. حيث كان يذهب إليه من آن إلى آخر كنوع من المراقبة الواقعة عليه.. ويسأله الضابط أين تصلي ومع من؟.. وكان الدخول إلى هذا المبنى بمثابة لغز.. فالعسكري يغمي العينين ويجعلني أقفز أماكن لأنه يقول أنه يوجد سلالم أمامي.. وأكتشف بعد ذلك أن هذا نوع من التمويه ولا يوجد سلالم.. فغرضه من ذلك عدم حفظي للمكان.. ورغم المراقبة المفروضة تم اعتقالي عام ١٩٩٩ واتهموني بمحاولة السفر إلى أفغانستان والانتماء إلى جماعة الجهاد!!

وقال إبراهيم: أجبروني بفعل ضغط التعذيب بالكهرباء في مقدمة أذني لأعترف بالانتماء إلى الجهاد.. ورحلوني بعد ذلك على السجون التي ذكرتها، وهناك رأيت العجب العجاب.. الزنزانة بها ٢٤ معتقلًا أي نصيب المعتقل الواحد ٤٤ سم، المياه تأتي مرتين فقط في اليوم، هناك قائمة بالممنوعات وهي القلم والمصحف والإبرة وسن القلم الرصاص والجرائد، كما أن الزيارة تكون كل ١٥ يومًا وتكون لمدة دقيقتين، ويفصلني عن الزائر سلكين شائكين من الأرض للسقف وبينهما فراغ يتجول فيه العسكري ليسمع ماذا أقول لمن يزورني.. أما من يريد أن يذهب للعيادة فعليه أن يمشي على يديه ويرفعه من قدميه أحد أصدقائه.

أضاف إبراهيم: أنه وزملاءه المعتقلين كانوا يستخدمون عظم الدواجن كإبرة لحياكة ملابسهم.. كما كانوا يستخدمون «أستك» الملابس الداخلية ذات اللون الأسود لكتابة القرآن بها على الحائط ليحفظه الشباب الباغي حفظ كتاب الله.

محاكمة عسكرية:

الحكاية الأخيرة جاءت على لسان محمد عبدالسلام محمود الذي دخل المعتقل في ١٩٩٤ وخرج في ٢٠٠٧.. أكد له جهاز أمن الدولة أنه ينتمي إلى جماعة الجهاد.. فحولوه إلى محاكمة عسكرية وأصدرت حكمها ٥ سنين بالسجن.. ثم قضى بعد ذلك ١١ شهرًا في سجن طرة ثم ١٩ شهرًا بسجن العقرب ثم ٣٥ شهرًا بسجن أبو زعبل..

يقول محمد أنه خلال مدة اعتقالي منعوه من زيارة أهله له لمدة تصل إلى ٦١ شهرًا!!.. مشيرًا أنه تعرض في سجن أبو زعبل لأبشع أنواع التعذيب.. فقد ضربه أحد الحراس بكفيه على أذنه مما نتج عن ذلك ثقوب في الأذن.. وكان محبوسًا في زنزانة مساحتها متر في ١٦٠ سم ولا يوجد بها مياه أو كهرباء أو دورة مياه.. وكانت تحتوي فقط على جردل «للتبول» وآخر للمياه.. وفي أول أيام رمضان في أحد السنوات وعند الفطار فوجئنا

بوضع «جاز» على الطعام وتم إجبارنا على تناوله.. أما بالنسبة لصلاة العيد فقد تم منعه من صلاة ١٢ عيدًا في ٦ سنوات متتالية خلال المعتقل.

ويضيف محمد: إنه كان في بعض الأحيان من شدة التعذيب ينام واقفًا حيث كان لا يستطيع النوم على بطنه أو ظهره من بشاعة الضرب الذي كان يتعرض له.. موضحًا أن زميله معوض أصيب بالجنون من هول التعذيب.. وكذلك أيضًا زميله طالب الكلية الجوية محمد حامد أصيب هو الآخر بالجنون وكانت تهمته هي الصلاة والمحافظة عليها وصل الأمر بهذا الطالب أنه كان يتبول على نفسه من شدة التعذيب..

(تحقيق: أحمد عبيدو صحيفة الأخبار ٢٠١١/٠٤/١٩)